

المجلد الثاني

القاهرة في رمضان وشوال سنة ١٣٢٨ هـ ستمبر واكتوبر سنة ١٩١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

سير الفرائد

(الذي جمع لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) أخذت الآية الكريمة بعد أن أمر الله قبل ذلك عباده بطاعته وعبادته تسرد لهم مواهب الله ومننه عليهم تفضلاً وإحساناً مستتبعه أيضاً التدليل على ثبوت الحق تعالى شأنه بآثاره الجليلة التي وإن كانت مشروطة بالاسباب والعلل لا يزال مرجعها في آخرتها إلى ذلك الفاعل المختار الواحد القهار .

ولقد سبق الكلام في بيان النعمة الاولى وهي جعل الارض فراشاً في العدد السابق فأما قوله تعالى (والسماء بناء) فإن الله تعالى قد خلق الارض وربطها بغيرها من السكواكب وسياراتها وثوابتها وذلك بواسطة التجاذب الذي هو أحد النواميس الطبيعية للجسام . ذلك التجاذب الذي به

الجلدية . وفي وسط ولاية الاسكاجيرة اغرب من هذه يكون سطح مأها حلواً وسمكها ابيض اللون اما الماء في داخلها فاملح من ماء البحر وتوجد فيه الاسماك التي لا تصاد الا من البحار . ومن البحيرات الصغرى في ولاية اوتاح ما تجد ماءه مركباً من توابل مملحة متبلورة يشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذلك الصقع ايضاً بحيرة لون مأها وردى وتنبت منها رائحة بنفسج ولونها ورائحتها صادران من وجود الخث « نبات الماء » فيها وبالقرب من سانتافي في كولوراد وبحيرة تحتوي كمية وافرة من الكبريت . ومثل ذلك تجده في كثير من اقطار الارض وهو ناشئ من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش في تلك البحيرات ومن طبيعة ارضها بركانية كانت او غيرها (خفقان القلب)

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحمار ٥٠ والانسان ٧٠ والكلب ٩٠ والارنب من ١٥٠ الى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ . ولم تتيسر حتى الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ما عرف ان الفأرة نفسها كلما كانت فتية زاد خفقان قلبها

﴿ تنبيه ﴾

تأخر الفصل الذي عنوانه « الغلو في البديع » - أو غنى اللغة العربية - عن موضعه وكان حقه أن يسبق مقالة « الغلو » لتتصل حلقات هذا البحث فترجو المَعذرة من القراء

استقلت الارض في الفضاء الفسيح غير معتمدة على قواعد ولا مشدودة الى غيرها باسباب . وانما هي قدرة الله البالغة أوجدت ذلك الناموس بين الاجسام فأثر بعضها في بعض تأثيرا حفظ به توازنها فسلم به من العطب والاختلال وجودها (إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَلَّتَا إِنَّا مُنْشِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

ولقد جاءت الآية الكريمة في شأن الكواكب وتأليفها بما أثبتته المباحث الفلكية الاخيرة وأدّى اليه تنقيب علماء هذا العلم في أطراف الارض فلقد ثبت أن تلك الاجرام السماوية تتألف كالارض من معادن مختلفة منبثة فيها اما ذائبة أو جامدة كما أن فيها جبالا ووهادا وجداول . وكذلك يحيط ببعضها طبقات هوائية على نحو ما يحيط بارضنا هذه وهذا هو معني قوله تعالى والسما بناء وليس المراد بالسما هنا شيئا واحداً بعينه وانما هي الكواكب التي تعلقنا (١) ولقد كانت العرب تستعمل السماء في معان كثيرة . استعملتها في المطر كقوله

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

واستعملتها في السحاب كما في الآية هنا (وأنزل من السماء ماء)

ومما لا بأس من ذكره هنا ما قاله الراغب (٢) كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الي ما فوقها فأرض الا السماء العليا فانها سماء بلا أرض وحمل على هذه الآية قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن

(١) ومن استعمال كلمة السماء في معنى الجمع قوله تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن

سبع سموات

(٢) تاج العروس جزء ١٠ صحيفة ١٨٣

الارض مثلهن) . فلفظ السماء الذي هو من السما أعني الرفعة يطلق لغة على كل مرتفع حتى أنهم ليسمون ظهر الفرس سماء قال طفيل الغنوي في وصف الفرس .

وأجر كالديباج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحول

ولقد انتبس الامر على بعض الباحثين فظن أن القرآن صراح في أن السموات انما هي ما يري كأنه قباب مضروبة متطابقة . ثم روي في بيان أنواعها كثيراً من الاسرائيليات والاحاديث النبوية التي لم يقع الاجماع على صحتها فزعموا أنها موج مكفوف كما في سماء الدنيا أو من صخرة كما في الثانية أو من حديد كما في الثالثة أو من نحاس كما في الرابعة أو من فضة كما في الخامسة أو من ذهب كما في السادسة أو من ياقوتة حمراء كما في السابعة .

والحقيقة أن القرآن الكريم لم يأت بشيء من ذلك وانه استعمل كلمة السماء والسموات في عدة معان كما رأيت آنفاً . فمن الآيات ما يدل على أن السموات بناء (أعني) مؤلفة من أجزاء مادية على نحو ما نرى في أرضنا ومنها ما يدل على أنها أجسام هوائية كما تشير اليه آية (ثم استوى الى السماء وهي دُخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً)

ومنها ما يدل على أنها مجرد طرائق ومدارات تسير فيها الكواكب السيارة كما في آية (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) ومنها ما يفهم منه معني السحاب كقوله (وأنزل من السماء ماء) . وهذه الآيات الكريمة الواردة في شرح السموات وتكوينها ليست واردة في الحقيقة على شيء واحد بل تارة يراد منها الاجرام السيارة وتارة طرائقها التي تسلكها في وظائفها ودورانها . وليس

ثمة منها ما يدل صريحاً على أن المراد بها القبة الزرقاء وما يعلوها من القباب المطابقة لها في رأي العين . فأما التطابق فبديهي أنه لا يستتبع كون السموات على النحو الذي وصفه القصاصون أو قدماء الفلاسفة بل يكفي في فهم كيانه أن تتطابق الكواكب السيارة أى أن تكون متراكبة طبقاتاً فوق طبق وهذا المعنى متحقق في ﴿السيارات السبعة﴾ المعروفة قديماً وكذا فيما عرف منها حديثاً وكذلك فيما عسى أن يعرف .

والذي أراه أن يرجع في فهم معنى السموات وما تتألف منه وكذا في فهم ما انتثر الفضاء الواسع من الكائنات العالوية إلى ما تكشفه التفتيشات الحديثة فإنها أن لم تكن الحقيقة نفسها فهي أقرب إلى الحقيقة من تلك الرجوم الواهمة التي لا يقبلها العقل ولا يؤيدها صحيح النقل . والذي أعلمه أن الأحاديث النبوية الكريمة لم يجمع على صحة ما ورد منها في هذا الباب وإن جاء شيء منه في بعض الكتب الصحيحة . فلقد ثبت عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها لم تقل حتى بأصح تلك الروايات وأشهرها في هذا الباب

وعلى فرض الإجماع على صحة تلك الأحاديث فإن الرسول عليه السلام أبان لنا أن الحتم على المسلمين الإيمان بما جاء به من الأحكام الشرعية السماوية الكنيمة لمتبعيها بسعادة الدارين . أما أحاديث الطب والعقاقير وتكوين السموات وشؤون الجو والأرض فليست مما يدخل في دائرة الغرض الفطري الذي بعث لأجله الرسل عليهم السلام والذي يجب على المسلمين الأخذ به

ولقد نص الأصوليون أنه إذا وقع التعارض بين ظاهر القرآن الكريم أو الحديث وبين القضايا العقلية المسلمة التي يصيها الإنسان من طريق البرهان القاطع أو المشاهدات الواقعة تحت سائر الحواس على شريطة إذا وقع بينهما

هذا التعارض وجب تأويلها تلك العبارات والأحكام بما يطابق هذه القضايا الصحيحة العقلية

ومما يسلم به المسلم دون جدل ما لا سبيل للعقل إلى إدراك حقيقته ولا مجال للبشر في فهم كنهه كالأموال الغيبية من أحوال الآخرة والملائكة وأشباهاها فإنها ليست مما يستطيع البشر إدراك حقيقتها وتفهم كنهها من تلقاء أنفسهم . إذا فلا يستطيعون لها من قبل أنفسهم تقيماً ولا اثباتاً . فما ثبت من ذلك في السنة أو القرآن وجب اعتقاده

أما المعاملات الدينية التي يتناولها البشر بالبحث ويستطيع العقل الصحيح الفصل فيها وإدراك كنهها كالمعلومات الجغرافية والفلكية والطب والهندسة ونحوها فليس ذلك مما ألزمنا الرسول الفطري عليه السلام بمخالفة ما يبلغه علمنا من حقائقها ومسائلها . وكيف وهو لم يقض علينا أن نأخذ بما ورد عنه في ذلك ولو ثبتت روايته وصح سنده . ومن هنا ما ورد في صحيح مسلم فقد (روى مسلم) عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون (يجعلون) الذكور في الأنثى فتلقح «فقال» رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظن يغني ذلك شيئاً قالوا فاخبروا بذلك فتركوه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعه فإني إنما ظننت ظناً فلا تتواخذوني بالظن ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني إن أكذب على الله عز وجل

(وروى) مسلم أيضاً عن رافع بن خديج قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلمكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه ففتمت قال فذكروا ذلك له فقال

انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر

(وروي) أيضاً عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقاتل لولم تفعلوا لصاح قال فخرج شيخاً فربهم فقال ما لنحكم قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمور دنياكم

كأنى بك ترى ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه وهو سيد النصفين. صرح لك الرسول بأنه إنما هو بشر وان أهل كل حرفة أو صناعة أدري بمسائلها ونحفاياها من غيرهم وان عصمة الرسل إنما تجب فيما اذا بلغوا عن الله شيئاً من شرائعه ونواميسه. ومن هنا نعلم أنه لا يجب الأخذ بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الدنيا وأحوالها وحرفها وطبها وصنائعها اذا خالف التجارب والمشاهدات أو الأئمة العقلية الثابتة لان هذا ليس مما يوحى اليه من الشرائع

وموضع الاستدلال بالأدلة الكريمة على وجود الحق تعالى أنه خلق الكواكب اجراماً مبنية من أجزاء مادية ثم أودعها طبيعتها خاصة الجذب الطبيعي كما هو الشأن في سائر الاجسام حفظ الارض في الفضاء بما بينها وبين تلك الاجرام السماوية من النواميس التي فطرها الله عليها.

وأما مكان امتنان الله تعالى على أهل هذه الارض بان جعل لهم السماء بناءً فذلك انه لو كانت تلك الاجرام السماوية على غير هذا التأليف والتركيب كما تكون أجساماً هوائية أو نارية خفيفة ليس في بنيتها ما يثقلها من المعادن وأشباهاها من المواد الثقيلة لما استقرت الارض في هذا الفضاء الواسع على غير عمد ولا مشدودة بأسباب الى الاجرام السماوية العظمى. ولولا ما في

الله عليه الاجسام العلوية والسفلية من ذلك الناموس المعروف بناموس التجاذب بينها المدارات الارض لا حول الشمس ولا حول محورها. بل لو لم تكن هذه الخاصة الجاذبية لما كان على الارض من حي ولا كان لها هي حظ من البقا. رأساً. (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) اذاً كان على البشر أن يعبدوا ربهم الذي جعل الاجرام السماوية بناءً فاستقرت بذلك الارض غير ميالة ودارت حول الشمس فتكونت طبقاتاً لمواقعها من هذا الجسم العظيم خلال مطافها الفصول الاربعة ذات الثمار والخيرات المتخالفة والمتشابهة ودارت بذلك أيضاً حول محورها فكان ما نراه من النهار الذي جعله الله معاشاً والليل الذي قدره لنا لباساً وسكنناً فله الحمد والمنة والثناء الجليل.

(وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم) هذه هي المنة الثالثة. وبديهي أن الماء قد جعل الله منه كل شيء حي فهو من أجل نعم الله وأعظم مواهبه.

تهبط أشعة الشمس على البحار فتدفع بالتبخير منه حظاً كبيراً مجرداً عما فيه من المواد الذائبة المنبثة في أعماقه كالملح والكبريت والحيوانات حتى اذا تصاعد في الجو بخاراً نقياً كثنته برودة الجو فصار سحاباً ثقالاً يأمر الله الرياح فتقلعه ثم تسوقه عذبا زلالاً الى ميت البلاد فيحييها وعالم الشكائيات فيروها. ولو أنه استقر في بحاره ملحاً أجاباً لما نفعته به غلة ظمان ولا عاش به نبات ولا حيوان. فانظر كيف جعل الله من البحار ذات الطعوم المرة المبرّعة ماء فرائعاً عذبا سائغاً للشاربين. ثم انظر كيف أنبت به من الثمرات رزقاً طبيعياً متشابهاً وغير متشابه متفاضلاً بعضها على بعض في الاكل على أنها تسقى ماء واحداً وتنبت

من طينة واحدة . تلقى البذور في البقعة الواحدة ثم تسقيها من جدول واحد
فيخرج لك ألواناً بجمجمة وأوراقاً غير متشابهة التقدير والرسم وثماراً تختلف حلاوة
وهوضة وتنابير حجماً وشكلاً وتفاضل ضراً ونفعاً . فكيف لا تعبدون من دلت
آثاره على وجوده ووحدايته أم كيف تتخذون له أنداداً تحبونهم كحب الله وأنتم
تعلمون أنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون لكم موتاً ولا
حياة ولا نشوراً .

واعلم أن الله خلق بني آدم وفضلهم على غيرهم من الكائنات بذلك
العقل الذي هو شهاب نأقب يتغلغل في أعماق حقائق الكائنات فينكشف
له منها ما ظهر وما بطن ثم جعله موضع التكليف بعد أن ربطه بسائر الجوارح
ظاهرها وباطنها بتلك الأعصاب المنبثة في الأجسام اثباتاً حتى أنه ليكون في
مقدار سن الأبرة الدقيقة الآلاف المؤلفة منها . ثم جعل العقل هو القاهر
فوقها يحرك بها ما يشاء أن يحرك ويسكن بها ما يريد أن يسكن . وبالجملة فكما
جعل الله تعالى العقل مناط التكليف يسر له السبيل وسخر له الأعصاب
والجوارح يصيب بها ما يشاء ويصرفها عما يشاء . ولكن كان ينبغي ألا
يعرف الخلاق بالربوبية غير هذا الصانع الحكيم الذي خلق كل شيء فأحسن
خلقه . ولكن من الناس من عطلوا عقولهم فتصروها على ادراك ما تقع عليه
حواسهم حاجبين لها عن الجولان فيما وراء ذلك من العوالم المعنوية . وهؤلاء
هم الماديون الذين لا يتجاوز بحسهم ونظرهم دائرة المادة وما يتعاقب عليها من
التغير والتحول والتلون والتشكل ثم لا يرخون بعد ذلك العنان لعقولهم حتى
تندبر مصدر تلك المظاهر الغريبة التي لولا أنها مألوفة للرائين لوقف أمامها
الحكيم مذهولاً والفيلسوف مبهوتاً

ومن الناس من بحشوا وتعبوا ولكنهم لم تبلغ بهم عقولهم القول
بإمكان وجود الله لا يدخل تحت أحكام الجواهر والأعراض ولا تدرك
كنهه العقول والأفكار . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فلما لم
يتصوروا إلهاً تلك صفاته عمدوا إلى الكواكب فاتخذوا منها أرباباً من دون
الله يلجأون إليها وهي لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً . ويعبدونها وهي مسخرة في
مدارها يعترها الصمود والهبوط ويتنزل عليها قدر بارئها فيصيبها التصرم
والاضمحلال .

ومن الناس من عرفوا أن هناك رباً بيده مقاليد الأمور جميعها بيدائهم
مع ذلك ارتأوا أن خطيرة القدس ليست مما يستباح حماها وأن الحضرة
الالهية أرفع وأعلى من أن يطرق أبوابها البشر وهم عجزة ضعفاء مدنسون
بالآثام ملوثون برذائل الشهوات فعمدوا إلى الحجارة فحشوها وإلى الأشجار
فشذبوها ثم فصّأوها متخذين منها آلهة تعبد . نسوا الله بذكرها أو أشركوا
الله بها . ثم إذا ما قرعتهم الحقائق الناصعة قالوا هؤلاء شفعائونا عند الله
(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه
وتعالى عما يشركون)

ومن ضروب الشرك النبطية ترك كتب الله تعالى والأعراض عن
منطوقها ومفهومها اجتزاء بما يقوله العلماء والأخبار والرهبان ولو خالف
كتب الله وأحكامه الصريحة ومن هذا قوله تعالى في أهل الكتاب قديماً
(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)

روى الامام أحمد والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم أنه لما بلغه دعوة الرسول عليه السلام فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من الرسول على أخته وأعطاهما فرجعت الى أخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدى المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على الضحفي وفي عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال فقلت انهم لم يعبدوه قال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم ايام . وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهما في تفسير هذه الآية الكريمة انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وقل السدى استنصروا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً) (١) واعلم أن تلك الآية ليست قاصرة على أمة دون أمة أو طائفة دون طائفة وانما هي عامة شاملة تنطبق على جميع من نبذوا كتاب الله واتبعوا أقوال علمائهم وأحبارهم في كل مكان وزمان وما أشد انطباقها على المسلمين منذ قرون فلقد اكتفوا من القرآن الكريم بمجرد ترتيب آياته ومن الحديث بمجرد التبرك بتلاوة متونه وأسماء رجاله فما أضل عقولهم وأوهن إيمانهم وأسخف أفكارهم وأجهلهم بكتاب ربهم

ومن ضرور الاشراك المزدولة التماس البركة من بعض الاشجار والعمد التي في المساجد وكبعض الرتج (البوابات) التي يزعم أولئك الجهمية

أن ما يسمونه بقطب الوقت يختلف اليها وقد يستقر بها بعض الزمن لتدبير شؤون سكان المدن التي يدخل اليها من تلك الابواب (كبوابة المتولي) في مصر . يذهب اليها الناس فيربطون بها بعض آثارهم من شعر أو سلوك . أو خرق بالية . يفعلون ذلك مريدين منه أن يكون رمزاً الى شكائهم فيعرضوا بها على انقطب أحوالهم وشؤونهم . وربما يزعم الناس أن هذا من الدين في شيء أو انه بدعة ابتدئها أهل الاسلام طبقاً لأحدثه فيهم المتصوفة من الرسوم والتعاليم . ولكن الخبيرين بتاريخ المشركين من جميع الامم يرون أن هذه الرذيلة السخيفة قد تسربت الى المسلمين منذ القدم . فمن ذلك مارواه ابن جرير في تفسيره عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرية يعكفون عندها ويلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات انواط (١) قال فمررنا بسدرية خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال قلتم والذي نفسي بيده كما قل قوم موسى لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)

وفي رواية عن أبي واقد أيضاً قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرية فقلت يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرية ويعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله أكبر . هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة . انكم تركبون سنن من قبلكم .)

ومن هذا القبيل العمود الذي في المسجد الحسيني بمصر يأتيه الناس

فيتمسحون به تبركا زاعمين أن السيد البدوي يزور الحسين رضوان الله عليه فيقف عند هذا العمود . ومن هذا أيضا شجرة كانت في مسجد الحنفي . وبئر به أيضا زعم الناس أن بها اتصالا ببئر زمزم فيتبركون بمياهها . فلا جرم أن هذا جميعه ضلال بين وشرك سخيف .

(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا وان تفعلوا فأتوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

جمعت الآية السابقة من أدلة وجود الصانع الحكيم عز شأنه ما لم يبق معه ريب لمرتاب .

أما هذه الآية الكريمة فشرع في تقرير نبوة الرسول عليه السلام فان كنفار قريش أغلظوا له وخاشنوه ورموه تارة بأنه مجنون وأخرى بأن كتابه أساطير الاولين وآونة بانما يعلمه القرآن بشر وآونة أخرى بأنه شاعر . ولقد جعل القرآن كلما رموه بشئ من ذلك تحداهم وقرعهم جد التفرع وأراهم بالآيات البينات ان هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . زعم المشركون أن القرآن ليس الا من صنع البشر وتأليفه واستدرجتهم سهولة تنسيقه وعدوبة ألفاظه وجمال معانيه فتوهوا أنهم ليسوا في عجز عن الاتيان بمثله يريدون بذلك انكار الوحي وبعثة النبي الامي الذي يؤمن بالله وكماله فأراد الحق تعالى أن يفضح من أمرهم ويكشف من عجزهم ويبين للعالمين عنادهم واصرارهم على الكفر برسالة محمد حسداً من عند أنفسهم لذلك تحداهم القرآن الكريم هنا بقوله ان كنتم زعمتم أن القرآن ليس

من عند الله فعارضوا محمداً بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فانكم لا تستطيعون أن تجدوا الى ذلك سبيلا سواء استعتم على هذا بالهتكم التي تعبدونها أو بأعوانكم وشركاؤكم الذين يزينون لكم باطل القول أو بشياطينكم الذين يغرونكم كلما خلوتم اليهم أو بفطاحل الخطباء وقادة الشعراء . الذين فتنتهم بهم اذ ليس في استطاعة أحد منهم أن يمدوكم بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

وقد تحداهم القرآن الكريم مرات عدة في سورة القصص قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منه أتبعه ان كنتم صادقين . وفي سورة الاسراء قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وفي سورة هود أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . وفي سورة يونس وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (الآية)

تحداهم القرآن في تلك الآيات مجتمعين ومفترقين . كتابيين وأميين . قبل الهجرة وبعدها . فعل جميع ذلك مشفوعا باغرائهم وتقريعهم فلم يستطع أحد منهم وكانوا أشد الناس عداوة له وبغضا لدينه أن يقول أنا لها فينظم على مثال آياته . لا طولا ولا قصارا . مع أن القرآن من جنس كلامهم . فما الذي دفعهم في صدورهم عن مجاراته وألجم أفواههم عن محاكاته وهم أحرص الناس على محاولة اطفاء نوره وابطال دعوته ؟ أعجزهم عن معارضته انه من الله القاهر فوق عباده وانه في المكانة العلمية من البلاغة الخارجة عن طاقة البشر وانه فارقت أساليبه أساليب كلام العرب وخطبها . وخالفت أوزانه أوزان الشعر هذا فضلا

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم). وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأحوال وفي وصف الجنة أو النار وبما وعد الله فيهما أوليائه وأعداءه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم بشرت به وحذرت ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة وثبتت على الطريقة المثلى وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم

ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قال ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطى من الآيات ما أمّن على مثله البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة. ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن رسولنا نضر الكائنات هو ذلك الرسول الفطري الذي جاء للعالم جميعه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. فإن تحدى غيره من الأنبياء أقوامهم بما جرى على أيديهم من المعجزات وخوارق العادات فإنما معجزة رسولنا المصطفى المجمع عليهم انتهت في قرآنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يستطيع البشر معارضته مع شدة حرصهم على توهين أمره كما وعد الله رسوله الامين ذلك في قوله (ولن نقولوا) فإن ذلك صريح في دوام عجزهم عن معارضته لشيء منه ولو قصار سورة.

ومن العرب من كان إذا سمع القرآن وهم بمعارضته أتى من ضروب الهذيان وسخيف التعبير ما يضحك الصبية في كتابتها. مثال ذلك ما وقع لعمر بن العاص وقد وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يدخل في دين الاسلام فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين فقال له عمرو لقد

عما احتواه من الاخبار والامر بكل خير والنهي عن كل شر (وقمت كلمة ربك صدقاً) أي في الاخبار (وعدلاً) أي في الاحكام. فكله حق وصدق ليس فيه مجازفة ولا افتراء كما هو شأن الاشعار التي لا تتجلى ولا تجمل الا بهما. على أن الشاعر يجيئك بالقصيدة الطويلة في وصف النساء أو الخيل أو الأسلحة أو الملام أو المدح أو الذم فلا تجد فيها الا ما يدل على مجرد حذق صاحبها في حسن السبك وتزيين الباطل والغلو المقوت والخيال الاختراعي الذي لا يطابق الواقع إلى نحو ذلك كما لا يقصد واضعها سوى اقناع غيره بقدرته على اجداد القريض.

على أن الشاعر مهما علت كعبه في هذه الصناعة وتفرّد في زمانه بحذق الشعر وامتلاك ناصيته لا تجده فيا يبيده من القصائد البيت الفذ أو البيتين مما يسمى في لسان أهل الادب ببيت القصيد. أما سائر الآيات فلا تكاد تخرج عن المهار والمهذبان واللغو الذي لا طائل تحته ولا فائدة فيه مما لولا حلية الوزن الشعري وخفته على روح مستمعيه لمجته الاسماع. والحق بسقط المتاع. أما القرآن الكريم بجميعه غاية في الفصاحة ونهاية في البلاغة. يعرف فيه ذلك من يفهمون كلام العرب وتصاريح التأليف وفنون التعبير. تنامل أخباره فتجد ما بهية طلية حلوة في نفس السامع سواء كانت وجيزة أو مبسوطة وسواء تكررت أو لم تتكرر. لا تخلق ديباجتها الالفة. ولا يمل السامع تكرارها.

قال ابن مسعود وغيره (١) إذا سمعت الله يقول في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فأرعبها سمعك فإنها ما خير يأمر به أو شر ينهى عنه ولهذا قال

أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي قال (والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (١) ففكر مسليمة ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أنزل عليّ مثلها قال وما هو قال — ياوبر (٢) ياوبر انما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر قفر — ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم اني أعلم أنك تكذب.

فانظر الى مسليمة ذلك الرجل الذي عرف قبل تصديه لمعارضة القرآن بالتفصاح النادره والعقل الراجح كيف أتى بتلك السفخافة التي يضحك منها بله الجهال فضلا عن العلماء ويزدريها الاميون بله الكتاب والشعراء.

عجز العرب عن معارضة القرآن وأيئسهم الله بوعده الحق من توقعهم يوما ما القدرة على مجاراته ومحاكاته بقوله تعالى (ولن تفعلوا)

وكان حقاً عليهم أن ينبذوا ذلك العناد والبغى وأن يعترفوا بان ذلك الكتاب الكريم ليس من صنع البشر لا سيما وقد جاء به ذلك الرسول الامي الامين الذي لم يكن حتى بلغ الاربعين من القارئين الدارسين ولا الحكماء الخاذقين . ولا الخطباء المنفوهين . ولا الشعراء القادرين . ولكنهم أصروا على عنادهم واستكبروا خذروهم الحق تعالى عاقبة ذلك الطغيان والبغى بقوله تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

فلا وقيّة لهم من تلك النار الا أن يتألموا عن كبرهم ويشوبوا الى رشدهم فيؤمنوا بالرسول الذي جاءهم بالحق والهدى وشرع لهم من الدين ما يكفي لسعادتهم في الدنيا والآخرة

(١) قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لكفرتهم

(٢) الوبر دابة صغيرة من جنس بنات عرس المسعات عند العامة بالعرسة

الْبَغْتَرُ وَالْأَلْب

البحن الشائع

(٥)

— تحرير طائفة من الألفاظ —

ومن اللحن الشائع قول بعضهم: فلان لا يسلك « الجادة ». يريد الطريق المستقيم . والوجه (الجادة) أو الجدة . وانما سميت الجادة لأنها خُطة مستقيمة ملحوبة . والجمع جواد . وقال الليث بجواز التخفيف وخطاه أبو منصور والأصمعي كما خطأ الثاني الأعرابي في تخفيف الجادة من قوله : فأصبحت الصُهب العتاقُ وقد بدا * لهن المنار والجواد اللوائح ومنه قول بعضهم : حج فلان « حجة » يبنون مصدر المرة من هذا الحرف على القياس . وصوابه (حجة) على الشذوذ . قال في اللسان ويجمع الحاج على (حج) ونظيره بازل وبزل وعائد وعوذ . وقال جرير يهجو الأخطل ويذكر ما صنعه ابن حكيم السلمى من قتل بني تغلب قوم الأخطل باليسر (ماء لبني تميم)

قد كان في جيف بدجلة حرقت * أوفى الذين علي الرحوب شُغول
وكأن عافية النور عليهم * حجّ بأسفل ذى المجاز نزول
والشهور في رواية البيت حج وهو اسم الحاج

ومنه قولهم : فلان خطب فلانة « خُطبة » يريد أنه طلبها له . والوجه (الخطبة) والخطبي . والخطب الذي يخطب المرأة وهي خطبه التي يخطبها والجمع أخطاب . والعرب تقول فلان خطب فلانة اذا كان يخطبها . وكان الخاطب يقول : خطب فيقول المخطوب اليهم نكح . تلك كلمة كانت العرب تزوج بها

ومنه قولهم : هو يسكن هذه « الخطبة » أو « الخط » . وهو خطأ والصواب (الخط) . أو الخط وهي الارض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك . وقد خطها لنفسه أو اختطها اى جعل عليها علامة بالخط ليعلم أن قد اختارها ليبنى عليها داراً . ومنه خطط الكوفة والبصرة وبغداد . أما (الخطبة) فهي تشبه أن تكون اسماً للطريقة . وهي أيضاً شبه القصة أو الامر أو الحال أو الخطب . قال تأبط شرا :

هما خطنا اما اسار ومئة * وامادم والقتل بالحرأجدر

وقد أخطأ من يقول : رمح « خطي » وإنما هو (الخطي) نسبة الى الخط خط البحرين وقيل خط عُمان وقيل هو موضع باليامة . قال الشاعر : وهل ينبت الخطي الا وشيجة * وتغرس الا في منابتها النخل

ومنه قولهم : فلان ذو « دربة » بهذا الامر يريد أن له به دربا . والصواب (الدربة) . ورجل (مدرب) أى مجرب . وكل ما جاء من هذا المعنى على مفعّل يجوز فيه السكسر والفتح كالمجرب والمجرب ونحوهما الا (المدرب) فقد وردت على هذا البناء . قال كعب بن زهير :

وفى الحلم اذهان وفى الغفو ذربة * وفى الصدق منجاة من الشرفا صدق ومنه قولهم : « رجل » الفارس يريد أنه نزل عن فرسه . والصواب (رجل) فهو راجل ورجل ورجيل ورجل ورجلان رواها ابن الاعرابي وأنشد :

على اذا لاقت ليلى بخلاوة * أن أزداد بيت الله رجلا حافيا والجمع رجال ورجالة ورجالي ورجا ورجالي ورجلانة ورجلانة ورجلانة ورجلانة ومنه قولهم : نُفِثَ فى « روع » فلان يريد قلبه . والصواب (الرُوع) أى القلب . وأما الرُوع فهو مصدر ومثله الرُواع والرُوع . ويقال أفرخ روعك وفرعك فان الأمر ليس على ما تحاذر (١) . وقال الشاعر :

* جذلان قد أفرخت عن روعه السكرب *

ومنه قولهم : « سخط » فلان يغضبني يريد عدم رضاه . والصواب (السخط) أو السخط مثل العدم والعدم . ويقال فلان يتسخط عطاء فلان أى يستقله . والله تعالى يسخط للمسلمين كذا أى يكرهه لهم أو يمنعهم منه أو يعاقبهم عليه

(١) هذا المثل لمعاوية كتب به الى زياد وذلك أنه كان على البصرة وكان المغيرة ابن شعبة على الكوفة فتوفي بها نخاف زياد أن يولى معاوية عبد الله بن عامر مكانه فكتب الى معاوية يخبره بوفاة المغيرة ويشير عليه بتولية الضحاك بن قيس مكانه . ففطن له معاوية وكتب اليه : قد فهمت كتابك فأفرخ روعك أبا المغيرة وقد ضمنا اليك الكوفة مع البصرة . اهـ (اللسان ص ٤٩٥ ج ٩)

ومنه قولهم: هذا الشيء من «سقط» المتاع يريدون رذالته وما لا يُعتدُّ به منه. والصواب (سقط) وهو رذالة المتاع وسقاطته. وأسقاط الناس أو باشهم. والسقط من كل شيء ما لا خير فيه أو ما يتهاون به. ومن أمثالهم: سقط العشاء به على سرحان. يضرب لمن ينبغي الشيء فيقع في أمر يهلكه. وسقاط الحديث أن يتحدث الواحد وينصت له الآخر فإذا سكت تحدث السامع. قال الفرزدق:

إذا هنَّ ساقطن الحديث كأنه * جنى النحل أو أبكار قوم تقطفُ
ومنه قولهم: فلان «ضحكة» ذو مجون يريد أنه يضحك منه كثيراً.
والصواب (ضحكة). وفي مثل هذا الموضع يخطئون كثيراً أذيلتس عليهم ما يجي من فعلة وفُعلة. والقياس أن ما يجي من النعوت على وزن فعلة فهو على تأويل فاعل. وما يجي على فعلة فهو في معنى مفعول به. يُقال رجل ضحكة وسخرة وخذلة وخدعة وما شاكل أي كثير الضحك من الناس والسخرية منهم والخذلان لهم وخداعهم. ويُقال رجل ضحكة وهزأة وما شاكلهما أي يضحك منه ويهزأ به كثيراً. وللتبريزي في التهذيب كلام طويل في هذا المعنى

ومنه قولهم: «العاديات» المصرية يريدون آثار مصر الفابرة. وانما هي (العاديات) أي الأثياء القديمة. يقولون بر عادية وثيء عادي أي قديم. والنسبة فيه إلى عاد. قال كثير:

وما سال وادٍ من تهامة طيب * به قُلُبٌ عادية وكُرور

ومنه قولهم: أعطيته «علاوة» والصواب (علاوة) وهي هنا ما يزيد على الشيء. يقال أعطاه ألفاً وديناراً علاوة. وجمع العلاوة علاوى كعراوة وهرأوى واداوة وأداوى. وهي أيضاً كل ما علّيت به على البعير بعد تمام الوقوف أو علقته عليه نحو السقاء والسفوف وما شاكل. ومن معاني العلاوة أيضاً رأس الانسان ما بقي عالياً على عنقه

ومنه قولهم: «قرنفل» لثم الشجرة المعروف. والصواب (قرنفل) أو قرنفل شجر هندي ليس من نبات أرض العرب. قال امرؤ القيس:

* نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل *

وأنشد ابن بري:

وا بآبي ثورك ذاك المعسول * كأن في أنيابه القرنفل
ويقال طيب مقرفل أي فيه قرنفل وحكى أبو حنيفة مقرنف
ومنه قولهم: «سقط» الرجل في يده يريدون أنه ندم. والصواب فيه (سقط) في يده وورد أسقط في قول. والاول النصيح المستعمل. وفي القرآن الكريم (ولما سقيط في أيديهم) قال الفارسي معناه ضربوا بأ كفهم على أ كفهم من الندم. قال في اللسان وقد قرئ «ولما سقط في أيديهم» كأنه أضمر الندم أي أنه سقط في أيديهم كما تقول لمن يحصل على شيء وإن كان مما لا يكون في اليد قد حصل في يده من هذا مكروه. فشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين. وسقط أكثر من أسقط وأجود. قال أبو منصور وانما حسن قولهم سقط في يده بضم السين غير مسمي فاعله الصفة التي هي في يده. ثم قال ومثله قول امرئ القيس:

٤٩٦
فدع عنك نهبا صيح في حجراته * ولكن حديثا ما حديث الرواحل
اي صاح المنتهب في حجراته !
(يتلى)

مجلد مصر القديم *

أتأذن لرجل تعود ان يخرج عن دائرة « الموظف » كلما عرضت حال
يخدم الوطن فيها الرجال ان يرفع لشعره ذكره ويشرف قدره مهديا اليك
منه هذه « القصيدة » في لغة « الضاد » وهي مما قلت في « أنس الوجود »
ذلك الاثر المختصر الذي جمع العبر ومخاه الدهر أو كاد وكان احدي آياته
الكبرهياكل « لفرعون » و « بطليموس » توارثها عن « الكهنة » « القسوس »
وصارت « للمسيح » وكانت « لهوروس » ثم ظهر « الاذان » فيها على « الناقوس »
ثم لا تكون عشية أو ضحاها حتى يهوى في الماء كل حجر كان يقبل « كالا سود »
وكل ركن كان يستلم « كالخطيم »

شهدت على « أنس الوجود » ما يعلم الانسان كيف يحتقر الدنيا ويحترم
الدين جميعا

دخلته ذات يوم وكان « الدوق اوف كونوت » لديه يتمشى في ظلاله
ويتنقل بين رسومه وأطلاله وعيناه ونفسه في اكباره واجلاله فكانت مني التفاتة
فرايت « فلاحا » قد أقبل ثم ألقى عباة وتوجه يصلي « العصر » غير ملق
بالا « لفرعون » كيف كان يعبد ويعبد ولا « لبطليموس » كيف كان يعظم

(١) رسالة كتبها شاعر الامير شوقي بك ردأ على « روزفلت » المتطفل فيما هذي
به في مصر حين نزل بها ضيفا ثقيلا. والخطاب فيها موجه اليه. وقد نقلناها هنا بصرف يسير

٤٩٧
ويمجد ولا « للمسيحية » كيف دخلت على « الوثنية » المعبد ولا
« للملك ادوارد » الذي تحتل جنوده الآن مصر وهو في ثياب اخيه « الدوق »
يرفع البصر ويسدله ممتلئا من آية الدهر مهابة وعجبا مشتغلا بالتاريخ القائم
الجسم يقرؤه كتابا كتابا. دين سهل سمح يسر واله واحد يعبد حيث وجد
العابد على العراء كما في الهياكل والكنائس والمساجد.

التاريخ أيها الضيف غابر متجدد قديمه منوال وحاضره مثال والغد بيد
الملك المتعال. وانت اليوم تمشي فوق مهد العصر الاول ولحد قواهر الدول
أرض اتخذها « الاسكندر » عرينا وملاها على أهلها « قيصر » سفينا وخلف
« ابن العاص » فيها لسانا وجنسا ودينا فكان أعظم المستعمرين حقيقة وأكبرهم
يقينا وهو الذي لم يعلم عليه أنه بنى أو ظلم أو سفك الدم أو نهى أو أمر الا
بين الرجاء والحذر من عدل « عمر » الذي تنبيك عنه السير

قمت أيها الضيف في السودان خطيبا فأنصت العصر والتفتت مصر
وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : كيف خالف الرئيس سنة الاحرار
من قادة الامم وسواس الممالك أمثاله فطارد الشعور وهو يهب والوجدان
وهو يشب والحياة وهي تدب في هذا الشعب ومن حرمة العواطف السامية
ان لا تطارد كأنها وحوش ضارية على صحراء أو بادية كما طاردت السباع
بالامس نقما من طبائعها الجافية ؟

المصرى أيها الضيف سمح كريم كثير التجاوز وقد قيل انما اراد الرئيس

أن يحذر من الفتنة في الجيوش وينهى عن إيقاظها ويدعو هذه الأمة التي حركتها
المستقبل في السكون إلى العمل في ظل الحق والصبر لقد باذن الله مضمون
ومستقبل بمشيئة الله مأمون وقد يماز بالظفر الصابرون

أيها المنتحى «باسوان» دارا
اخلع النعل واخفض الطرف واخضع
قف يترك «القصور» في اليم غرق
كعداري أخفين في الماء بضاً
مشرفات على الزوال وكانت
شباب من حولها الزمان وشابت
رب «نقش» كأنما نقض الصبا
و«دهان» كلامع الزيت مرت
و«خطوط» كأنها هذب ريم
و«ضحايا» تكاد تمشي وترعى
و«محاريب» كالبروج بنتها
شيدت بعضها الفراعين زلفي
و«مقاصير» أبدلت بفتات الـ
حظها اليوم هدة وقديما
سقت العالمين بالسعد والنح
صنعة تدهش العقول وفن
كالثريا تريد أن تنقضا
لا تحاول من آية الدهر غمضا
ممسكا بعضها من الذعر بعضا
ساجحات به وأبدين بعضا
مشرفات على الكواكب نهضا
وشباب الفنون ما زال غضا
نعم منه اليبدين بالامس نقضا
أعصر بالسراج والزيت وضاً
حسنه صنعة وطولا وعرضا
لو أصابت من قدرة الله نبضا
عزمات من عزمة الجن أمضى
وبنى البعض أجنب يترضى
مسك تريا وباليواقيت قضا
صرفت في الخطوط رفعا وخفضا
س إلى أن تعاظمت النحس محضا
كان اتقانه على القوم فرضا

يا قصورا نظرتها وهي تقضى
أنت طغرا ومجد مصر كتاب
* وأنا المحقق بتاريخ مصر
لم تمت أمة ولا باد شعب
رب سر بجانيك مزال
قل لها في الدعاء لو كان يجدى
حار فيك (المهندسون) عقولا
أين ملك حيا لها وفريد
أين (فرعون) في المواكب تترى
ساق للفتح في الممالك عرضا
أين (آزيس) تحتها النيل يجرى
أسدل الطرف كاهن ومليك
يعرض المالكون أسرى عليها
مالها أصبحت بغير مجير
هى فى الاسرى بين صخر وبحر
أين «هوروس» بين سيف ونطع
ليت شعرى قضى شهيد غرام
فسكنت الدموع والحق يقضى
كيف سام البلى كتابك فضا
من يصن مجد قومه صان عرضا
أقرضوا الذكر والاحاديث قرضا
كان حتى على «الفراعين» غمضا
ياسماء الجلال لاصرت ارضا
وتولت عزائم العلم مرضى
من نظام النعيم أصبح فضا
يركض المالكين كالحيل ركضا
وجلا للفخار فى السلم عرضا
حكمت فيه شاطئين وعرضا
فى ثراها وأرسل الرأس خفضا
فى قيود الهوان عانين جرضى (١)
تشتكى من نوائب الدهر عضا
ملكه فى السجون فوق حضوضى (٢)
أبهذا فى شرعهم كان يقضى
أم رماه الوشاة حقدا وبغضا

(١) جرضى أي مغمومين

(٢) حضوضى جبل فى البحر

رب ضرب من سوط فرعون مض
وهلاك بسيفه وهو قاتلوه فهل لذك حديث
(مصر) بالنازلين من ساح (معن)
كن ظهراً لاهلها ونصيراً
قل لقوم على (الولايات) ايها
شيمة (النيل) أف يفي وعجب
حاشه (١) الماء فهو صيد كريم
شيد والمال والعلوم قليل
دون فعل الفراق بالنفس مض
دون سيف من اللواحق ينقض
أين راوي الحديث ثرا وقرضا
وحى الجود (بجتم) الجود أفضى
وابذل النصيح بعد ذلك محضا
ظ اذا ذاق البرية غمضا
أخرجوه فضيع العهد نقضا
ليت بالنيل يوم يسقط غمضا
انتذوه بالمال والعالم نقضا (٢)
« شوقي »

(١) حاش اي اخرج الصيد من كل مكان
(٢) اي أثر



الفلسفة والتاريخ

تاريخ علم الفلك *

خلق الله الاكران بالحق وأوحى في كل سماء أمرها فتحركت الكواكب
في أفلاكها تسبح بانتظام بديع في فضاء لا يعلم نهايته الا خالقه سبحانه تسبح
بحمده الى يوم الدين . هكذا شاءت حكمة الخالق العظيم أن تجرى تلك
الآلى الساوية وتتفاوت في السرعة والبعد . وكان الانسان لاهيا عنها في
بداية العمر وساعده على ذلك ما كان عليه وقتئذ من بسطة في العيش وغناء
عن الاستفادة منها

لبث الانسان على هذه الحال حتى أحوجته طبيعة العمران الى الاجتماع
وتكوين الامم واضطرت سنة الارتقاء الى ضبط الميقات وتحديد الزمن
فبحث فوجد أن كل متحرك حوله يتغير ويتبدل الا تلك المصاييح الزاهية
الى ما شاء الله . فأتخذ منها النيرين الشمس والقمر في المبدء مقياساً لوقته
نظراً لعظم حجمهما في الظاهر وجعل يعد كلما أشرقت الشمس يوماً وكلما
تكامل القمر حسب ذلك شهراً . وماهى الاسنين معدودات حتى طال الامر
فقكر ثانياً في الخلاص من هذا الضيق وانقطع للبحث بعض العقلاء وعندها أخذ
العلم شكلاً فافقدت الاعوام وعلمت الفصول ونظمت الشهور الى غير ذلك
ثم تعدى النيرين الى باقى الكواكب فضبطت حركات كثير منها وقيست
أجرامها على قدر استعداد آلات الرصد

(*) للفاضل محمد قبودان افندي البدن ضابط الطوافه (نور البحر) حاضر بها
ندي الآداب في السويس

وأقيمت الراصد لهذا الغرض وما زال العلم يرتقى كلما تقدمت أمة خطوة في سبيل الحضارة حتى بلغ ما رآه اليوم

مما تقدم يتبين لنا انه علم طبيعي للانسان أوجده ضرورة الاجتماع فما من أمة في العالم الا وتداولته معارفها مما بلغ منها الجهل . وهو لم ينل من العناية حظاً وافراً الا عند السكادانيين والفرس واليونان قبل ميلاد المسيح عليه السلام . وكان الفرس على ما يروى اول من اخترع آلة الرصد السماة بذات الخلق وتسميها اليونان بالاسطرلاب وهي أقدم آلة اخترعت لرصد حركات الكواكب كما هو معلوم الى اليوم . وقد ظلت مستعملة الى ما بعد القرن العاشر الهجري وهي تتركب من عدة دوائر من النحاس ما بين السبع والعشر عدداً مقسمة ومفرغة حسب الزوم تتحرك بإرادة الراصد داخل حجرة تشبه تمام الشبه ظرف ساعة الجيب وفي الحجم تعادل ضعفها

هذا وقد فاقت اليونان أمة الفرس بعد ان قتل الاسكندر المقدوني ملك الفرس داراً ونقل كنوز معارفهم الى بلاده . فنبغ من اليونانيين العلامة فيثاغورس في القرن الاول قبل الميلاد وهو اول من قال بحركة الارض حول الشمس فضلا عن حركتها حول نفسها . وما زال العلم يرتقى وتتوارثه الامم حتى أشرقت شمس على سماء مصر في القرن الثاني بعد الميلاد ونبغ فيه الفلكي الشهير بطليموس أستاذ العلوم الفلكية في جامعة الاسكندرية في ذلك العهد . وكانت اول مدرسة زارها علم الفلك في الوجود . فابطل بطليموس هذا دعوى سابقة وذهب الى أن الارض ثابتة المركز في الفضاء والشمس مع بقية الكواكب السيارة تدور حولها . واتبعه في اعتقاده هذا تلاميذه

ومن جاء بعدهم الى أن ظهر العالم الفلكي البولوني كوبرنيكس في القرن (١٦م) الذي أيد دعوى فيثاغورس بالبراهين العلمية بعد اكتشاف مدارات السيارة حول الشمس . ولا يزال الاعتقاد بحركة الارض حول الشمس هو السائد الى اليوم (ولو أن هذا أو ذاك ليس مما يخل بحساب الميقات) نظراً لسهولة موافقته للعقل لاسيما والشمس أعظم كوكب في فلكها واكبر من الارض بنحو مليون مرة وثلاث

ولقد كان الخليفة المأمون رضى الله عنه مشغولاً بالعلوم وكثيراً ما ترجم مؤلفات الفرس واليونان في علم الفلك من جملة ما نقل الى اللغة العربية . قدعنى به منذ ذلك العهد اى منذ القرن الثانى الهجرى وظلت أمم الاسلام الى القرن العاشر توليه احساناً وتحسيناً خلد لها ذكراً عاطراً في سجلات التاريخ ونبغ فيهم أمثال العلامة أبى الحسن المراكشي وابن اسحق التونسي وحفيد تيمورلنك ألونج بك محمد والى سمرقند في أوائل القرن التاسع (ويروى عن هذا الاخير انه أخذ لنفسه طالماً ذات يوم وكان يعتقد كثيراً في علم التنجيم فظهر له أن ولده الاكبر ابراهيم سيقتله يوماً ما . فاخذ منذ ذلك الوقت يكتر من تعذيب ابنه المذكور حتى اوغر صدره فمعد الى قتل والده وقد حصل) وكثير من أمثالهم العلماء الذين كملوا الاسطرلاب وأتقنوا صنعه واستعمله واخترعوا آلة أخرى سموها الربع وهي على شكل قطاع من خشب او نحاس مرسوم على وجهيه اشكال مخصوصة وله هدفه ثابتة المركز عند رأسه تتحرك على سطحه فتقاطع الرسومات المذكورة وكانت تستعمل لتعيين الاوقات الشرعية وعروض البلدان وحل قضايا المثلثات التي تحل اليوم بمجداول اللوغاريتمات وأهمية هذا الاختراع في كونه وجد قبل وضع

شمسه على أبعاد مختلفة وسرعة متفاوتة . قدرها جهده حسب الظاهر له من خلال جوه والله أعلم بالحقيقة

دلت الارصاد الفلكية على أن الشمس ثابتة المركز في الفضاء وبقية الكواكب التي في فلكها تدور حولها من الغرب الى الشرق كل بما قدرت من سرعة وبعد . وذلك فضلا عن حركة كل كوكب حول نفسه وان كل كوكب يتم دورته هذه على هيئة محيط اهلبيجي الشكل (قطع ناقص) والشمس في احد مركبيه . وكلما أتم كوكب دورته حول الشمس أعاد الكرة على نفس نظامه السابق بلا تبديل ولا تحويل الى ما شاء الله

وقد سمي هذا المحيط بمدار الكوكب . وما كل منها في الحقيقة الا حلقة وهمية في الفضاء يرسمها كل كوكب أثناء دورته حول الشمس . وبما أن الكوكب كما قدمنا لا يحميد عن مداره الذي قدر له منذ الأبد يمكن العلماء من قياس كل مدار منها بتعاقب الارصاد وعرفوا موضع كل بالنسبة لغيره حول الشمس . وعليه أصبح من الممكن رسم أشكال هذه المدارات بعد تجسيم الوهم وفرض انها خطوط حلقيه . وهي كما قدمنا أشكال اهلبيجية منتظمة تقرب جداً ان تكون دوائر ما عدا مدارات بعض الكواكب ذات الذنب فانها لضيقها أشبه شيء بحيط الخيارة المعتدلة

من الارصاد العديدة ظهر أن أقرب كوكب الى الشمس هو الكوكب عطارد ويليه كوكب الزهرة فكوكب الارض ثم كوكب اروسى صاحب المدار المخالف في الوضع نظام بقية الكواكب السيارة . يليه كوكب المريخ ثم عدة كواكب صغرى اطلق عليها اسم عام (وهو السيارة الصغرى) . يأتي بعدها

المهندسة الوصفية والعلامات الجبرية التي سهلت جداً حل المثلثات لاستخراج المجاهيل . وتوجد اليوم هذه الآثار الجليلية في ديار الكتب بمعظم عواصم أوروبا مع ما لا وثائق العلماء من مؤلفات ثمينة من جملتها جداول منتظمة وضعوها لسهولة استخراج مواقع النجوم لوقت الرصد وهذه تعرف قديماً بالازياج وهي التي سارت على نسقها التساويم الفرنجية وأخذت بيدها سنة الارتقاء الى الامام شأنها في كل حادث فاندثر ذكر ذلك الفرس المبارك بفضل اهمالنا حالنا مع كل ما ترك الآباء اذ تولى رعايتها غيرها وجنوا ثمارها فما كان أحقنا بها منهم

ذلك هو مجمل تاريخ علم الفلك قد ذكرته لكم بقدر ما وصلت اليه معرفتي وسأشرح خلاصة الاكتشافات الحديثة فيما يلي ان شاء الله

حركة الكواكب — مضى على الانسان حين من الدهر وهو يظن أن عالم الكون يتركب كله من شمس وما يدور حولها من كواكب سيارة وان بقية النجوم ليست الا مصابيح تتلألأ في الظلام فزين السماء . أما اليوم فقد دلت الارصاد على أن بين تلك المصابيح السماوية ما هو أعظم من الشمس بامثال الامثال وجميعها اجرام عظيمة تتحرك في الفضاء بقدر معلوم . وما فلك شمسنا بما يدور حولها من كواكب سيارة الا فلك صغير من عدة أفلاك واسعة ذات شمس عظيمة لا تقاس شمسنا اليها بشيء مّا . وما أرضنا التي نقطها هذه الا ذرة غبار في عالم الافلاك فسبحان الخالق العظيم

توصل الانسان بدقة بحثه الى ضبط حركة كل كوكب مما يدور حول

حافة قرص الشمس شوهد لها لب يتصاعد الى نحو المائتي الف ميل . ولهذا ظن البعض ان هذه البقع فوهات كفوهات البراكين عندنا وكثيرا ما هي في الشمس وتقذف مواد الحريق وتظل مستقرة الى ما شاء الله

الكوكب عطارد — عطارد كما قدمنا أقرب الكواكب الى الشمس ونراه دائماً حول الشمس داخل منطقة الشفق ولذا نراه دائماً مائل اللون الى الحمرة شديد الخفقان وغاية بعده عن الشمس ساعة ونصف وهو نفس سهيل الذي عناه أبو العلاء بقوله:

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب الحب في الخفقان
وعطارد هذا يتم دورته حول الشمس مرة في كل ٨٧ ر ٩٩ يوم وله دورة أخرى حول نفسه لم تضبط بعد وقطره يبلغ الثلاثة آلاف ميل

كوكب الزهرة — الزهرة تلك التي يلقبها الرحالون بيشير الصباح لما أنها تشرق قبل الشمس وما سميت بالزهرة باطلا فهي أزهى الكواكب في اللعنان حسب الظاهر بعد النيرين بحيث قد تبلغ حجم الرمانة في النظر المجرد وترى هي أيضاً حول الشروق او الغروب على حسب موقعها من حركتها وبعدها عن الشمس الذي لا يتعدى الثلاث ساعات

الزهرة تتم دورتها حول الشمس مرة في كل ٢٢٤ ر ٧٠١ يوم ولها حركة أخرى حول نفسها لم تعلم كدورة عطارد الى اليوم وقطر الزهرة ٧٧٠٠ ميل تقريباً

كوكب المشتري فزحل ثم اورانوس فنبوتون وهو أبعد كوكب عن الشمس اكتشف من فلكهم الى اليوم . وجميع ما ذكر وعدة كواكب أخرى ذوات أذنان سيأتي ذكرها في موضعه ان شاء الله تدور حول الشمس كما قدمنا من الغرب الى الشرق . ومن مجموعها يتركب فلك شمسنا أمثاله أفلاك عديدة أوسع ذات شمس أعظم مما لا يحصر عدده الا الخالق العظيم تبارك وتعالى هذا ولتسكلم على كل كوكب فيما يخصه على حدته فنقول :

كوكب الشمس — الشمس في أفلاكها تتمايز عن بقية الكواكب بكونها أجساما ملتصقة تكسب الكون نورا وحرارة وأما بقية الاجرام السماوية فهي كرات مظلمة تكسب النور والحرارة من الشمس وما تلائمها هذا الظاهر الا نتيجة انعكاس الاشعة الشمسية على سطوح أجسامها وكذلك أرضنا تلمع في الفضاء كاحد تلك النجوم وسيثبت ذلك في موضعه ان شاء الله

اما شمسنا فهي كما قدمنا جسم كروي ملتهب يكسب فلكه نورا وحرارة والشمس ثابتة المركز في الفضاء تدور حول نفسها على محور يقرب ان يكون عموديا على مدار الارض

ذلك ما أخبر عنه القرآن الشريف قبل ١٣٢٨ عاماً بقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) الآية

والذي دل على حركتها هذه بقع سوداء شوهدت على قرص الشمس تتحرك زمرا زمرا على موازاة خط استواء الشمس فتم دورة واحدة في كل احدى عشرة سنة مرة . ولكن العلماء لم يتمكنوا من ضبط نظام حركة تلك البقعة نفسها في المساحة واختلاف المواقع . وكما مرت بقعة منها على

كوكب الارض — الارض ولا أزيدكم بها علماً أيها السادة ليست الا احد الكواكب السيارة تتم دورتها حول الشمس مرة في كل ٣٦٥٢٥٦ يوماً وذلك هو زمن السنة الشمسية الحقيقي الا أن نظام العد للسهولة قضى ان تقدر السنة ٣٦٥ يوماً فقط ويهمل الكسر حتى يتكامل يوماً أي كل أربع سنين يضاف يوم الى السنة الاخيرة وتسمى بالسنة الكبيسة وعدد أيامها ٣٦٦ يوماً

هذا والارض حركة أخرى حول نفسها تتم مرة في كل ٢٣ ٥٦ ٤ ث ق س وهو زمن اليوم الحقيقي ولكنه نظراً لحركة الارض السنوية امتد زمن اليوم حتى كمل ٢٤ ساعة وهي نتيجة طبيعية لان الارض كما سبق الشرح تجرى حول الشمس الى جهة المشرق فتأخر الشمس عن الغروب بنسبة أربع دقائق تقريباً . ولولا ضيق المقام لشرحت لحضراتكم الحركتين المذكورتين بعبارة اوضح مفصلاً ما ينشأ عنهما من اختلافات الطقس في الفصول الاربعة والسبب في طول النهار وقصر الليل وبالعكس مما يحتاج لمقدمات مطولة ودراسة حقيقية للعلم . وكفانا علماً بوجه الاجمال أن الحركة اليومية للارض حول نفسها من المغرب الى المشرق هي المسببة لان نرى جميع الكواكب بالنسبة لمواقعها من السماء تشرق ثم تغرب مرة في كل يوم . ونظراً لسرعة الارض الهائلة في الدوران لا نشعر بحركتها

القمر — للارض كوكب خاص بها على بعد نحو ٢٣٩ الف ميل يدور حولها دائماً من المغرب الى المشرق في كل ٢٩ ١٢ ٤٣ ق ع ٢٧ يوماً . ذلك هو القمر يتم دورته حول الارض مرة في كل شهر عربي وبالنسبة لكونه

ملازماً للارض أينما حلت وهي تتحرك الى جهة الشرق كما قدمنا طال زمن الدورة الواحدة حتى بلغ ٢٩ ١٢ ٤٤ ق ع يوماً وذلك هو زمن الشهر العربي الحقيقي الا أن نظام العد قضى للسهولة أن يكون أحد الشهور ٢٩ يوماً والذي يليه ٣٠ يوماً وهكذا بحذف ١٢ من الاول و اضافتها الى الثاني أما جزء ٤٤ فقد اتفق أن يهمل حتى يتكامل يوماً ويضاف عندها على شهر ذي الحجة فيكون ثلاثين وتسمى تلك السنة كبيسة . وهذا هو سر تكوين احدى عشرة سنة كبيسة في كل ثلاثين من السنين القمرية

القمر كبقية الكواكب جسم مظلم يكتسب النور من الشمس ولنا من حركة نوره المحسوسة دليل على ذلك . وقد ذكرها القرآن الشريف بقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) الاية . نراه في اول الشهر هلالاً وفي وسطه بدرًا كاملاً والسبب في ذلك راجع الى كون القمر بحكم دورته حول الارض من الغرب الى الشرق نراه بعد أن كان في اول الشهر مقترباً بالشمس يأخذ في الاقتران متأخراً عنها في الشروق وفي الغروب بمعدل ٤٢ دقيقة يومياً حتى اذا ما أتم نصف دورته كان أحدهما في الشروق والآخر في الغروب . ثم هو يتم دورته بنفس الحركة آخذاً بحكم دائرة المدار في الاقتراب من الشمس حتى يقترب بها ثانياً وهكذا « وما هذا الاقتران والاقتراب الا حسب الظاهر فقط وسنبين ذلك عند الكلام على الخسوف والكسوف ان شاء الله » وبما أن القمر كما قدمنا جسم مظلم كان الجزء المكتسب منه للنور هو المواجه للشمس طبعاً في اول الشهر وقت الاقتران لا نرى الجزء المستنير منه على ذلك بل يواجهنا بالنصف المظلم وكلما اقترب عن الشمس حسب الشرح المتقدم تجلي لنا نوره حتى يبلغ تمامه عند منتصف الشهر

وبعدها يغرب عنا ذلك النور بالتدريج حتى اذا ما اقترن القمر بالشمس ثانية اختفى عنا جميعه ثم ابتدئ معيداً الكرة على نفس النظام السابق وهكذا ومما ثبت لنا تالؤاً الأرض في الفضاء كاحد الكواكب الاخرى كونها تكسب القمر نوراً لما يضيء هولنا في الليل بالنسبة لقربهما من بعض والدليل على ذلك واضح من مراقبة القمر عند ما يكون هلالاً اذ نرى الجزء الغير المعرض منه للشمس مضيئاً بعض الشيء وليس هناك من داع لوجود هذا النور الضعيف سوى انعكاس ضيائنا عليه فتكسب ليله نوراً كما يضيء هو لنا سواء بسواء . ولقد تمكن العلماء أخيراً من رسم القمر بالآلة المصورة « الفوتوغرافية » بأن أضافوا اليها نظارة معظمة رسمت اجزائه بصورة واضحة . وبواسطة آلات الرصد الاخرى تمكنوا من قياس كل ما ظهر على سطح القمر من هيئة بحار وأراض وجبال الى غير ذلك مما ذهب معظم الفلاسكين بسببه الى القول بأنها جبال وبحار حقيقية كثيراً ما تماثل ما عندنا شكلاً ووضعاً حتى انهم أطلقوا عليها أسماء مشابهاتها كسلسلة جبال الالب والابنين والقوقاز وكل ما اكتشف من ذلك الى اليوم ٢٣ بحراً و ٢٣ سلسلة جبب ارتفاع قممها عظيم جداً . واكتشفوا أيضاً على سطح القمر فوهات عميقة كفوهات البراكين الا انها عظيمة الاتساع منها ما يبلغ قطره ٦٠٥ ميلاً تقريباً وفي العمق تصل الى نحو ١٢ الف قدم وأمثالها كثيرة وعددها ٤٥٠ فوهة (كسوف الشمس وخسوف القمر)

على ذكر القمر نشرح مسألة الكسوف والخسوف فنقول قد تقدم ان القمر يدور حول الارض من الغرب الى الشرق مرة في كل شهر عربي .

فهو يصنع دورته هذه في مستو واحد مع مدار الارض تقريباً وعليه فقد وجب أن تجتمع الشمس والارض والقمر على استقامة واحدة (على الخطر الوهمي المار من الشمس الى الارض أينما حلت من مدارها) مرتين في كل شهر عربي . مرة والقمر داخل مدار الارض . والاخرى خارج ذلك المدار وذلك الاجتماع هو ما عبر عنه في الاصطلاح الفلكي بالقران . ففي الاجتماع الاول يتوسط القمر بين الشمس والارض أعني يعترض بحكم دورته بينهما وهي لحظة ابتداء كل شهر عربي . وبما أن القمر كما قدمنا جسم مظلم وجب وقت مروره على قرص الشمس ان يحجبه عنا بضع دقائق . فهذا الاحتجاب للشمس هو ما عبر عنه في الاصطلاح بكسوف الشمس

وفي الاجتماع الثاني الذي يحصل والقمر خارج مدار الارض وهي لحظة تنصف كل شهر عربي . فالارض وقتئذ تكون هي المعترضة بين الشمس والقمر . وبما انها جسم مظلم أيضاً وجب أن تحجب عن القمر ضوء الشمس بضع دقائق حتى يمر القمر من استقامة الاجتماع . وهذا الاحتجاب الاخير هو ما عبر عنه في الاصطلاح الفلكي بخسوف القمر

قد يتبادر الى الذهن أن الكسوف والخسوف حاصلان مرة في كل شهر عربي . فذلك يتم لو كان مدار القمر مع مدار الارض في مستوى واحد بالضبط والحقيقة غير ذلك . فلمداران منحرفان قليلاً أحدهما عن الآخر وبالنسبة لحركة الارض حول الشمس قد يحصل القران والقمر من مداره في نقطة على استواء مدار الارض فيحصل الكسوف للشمس او الخسوف للقمر وقتئذ كما قد يحصل القران والقمر من مداره في نقطة بحيث يمر جزء منه فقط باستواء مدار الارض فيقع عندها الكسوف والخسوف جزئياً .

أو قد يحصل القران والقمر من مداره في نقطة خارجة عن استواء مدار الأرض فلا يقع هذا وذاك

مما تقدم يتضح أن خسوف القمر الذي عبر عنه بعضهم بكونه حاصلًا من اقتران الكوكب عطارد بالقمر أو هذا بذاك : إنما هو قول باطل لاستحالة عقد ما دام القمر أقرب كوكب إلى الأرض . وإنما قد يتصادف مرور عطارد أو الزهرة على قرص الشمس ونرى ذلك بالنسبة لوجودهما داخل مدار الأرض أو بعبارة أخرى بالنسبة بكونهما أقرب منا إلى الشمس فلا يبعد أن يجتمع أحدهما على استقامة واحدة مع الشمس والأرض وعليه يظهر كل على قرص الشمس مدة مروره عليه كبقعة سوداء مستديرة نظراً لصغر حجمه في الظاهر فتكسف الشمس بهما إذا صح التعبير

الكوكب أروس — أرانوس كوكب سيار صغير اكتشف حديثاً يدور كبقية السيارات حول الشمس من الغرب إلى الشرق ومداره مخالف لنظام المدارات وعليه فقديماً يوماً على بعد نحو الثلاثة عشر مليون ميل من الأرض فقط فيكون وقسماً أقرب كوكب إلى الأرض بعد القمر الذي هو على بعد ٢٣٩ ألف ميل كما قدمنا

اروس هذا يتم دورة كاملة حول الشمس مرة في كل ٦٤٣ يوماً ودورته حول نفسه كبقية السيارات لم تكتشف بعد

كوكب المريخ — المريخ هو الذي كان بلقبه العرب قديماً بمجمرة السيارات نظراً لاحمراره الظاهر للعين المجردة . وهو ذلك الكوكب السيار الذي دلت

الأرصاء على توفر أسباب الحياة في جوه وفوق سطحه . واختلف العلماء فيما إذا كان مأهولاً بالسكان أم لا . فقريق منهم قال أنه شاهد على سطح المريخ اشكالاً هندسية تدل على ترع صناعية ومزارع إلى غير ذلك من مقتضيات العمران . وهذا الفريق لا يزال إلى اليوم يبحث عن طريقة تمكنه من تبادل المواصلات بين الأرض والمريخ وهم معتقدون اعتقاداً راسخاً بسكانه

وأما الفريق الثاني فقد نفى ذلك الاعتقاد واما قال ان هناك على سطح المريخ تعريجا غير واضح جسمه الوهم لبعض الراصدين حتى ظنوه ترعا صناعية ومزارع إلى غير ذلك

هذا ولا يبعد أن يكون المريخ مأهولاً بالسكان واحدى الأرضين السبع التي أخبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلن ينزل الامر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير الآية) وقال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) هذا وقد تقدم أن مدارات السيارات حول الشمس كالخلق المتفاوتة في السعة داخل بعضها . فكل كوكب من السيارات اذن يجري في سماء تحيط بسما من هو أقرب منه إلى الشمس وعلى هذا التقدير كانت طباقاً والله أعلم بالحقيقة اذ قد تكون بقية الاراضى في أفلاك أخرى

ومما ساعد على رواج الاعتقاد بسكنى بعض الكواكب السيارات حول شمسنا مادلت الأرصاد عليه من توفر أسباب المعيشة في جو تلك الكواكب كالحرارة والبرودة والسحب والأمطار إلى غير ذلك فضلاً عن أن يكون بعضه اقماراً كقمر ناور بما كانت أرقى بكونها أسرع في الحركة وأعظم في الجسم ومتعددة وللمريخ منها قران يدوران حوله أحدهما على بعد ٥٨٥٠ ميلاً يتم الدورة

الواحدة في كل ١٤ ٣٩ ق ٧ مرة والآخر على بعد ١٤٦٥٠ ميلا منه يتم دورته حوله مرة في كل ٥٥ ١٧ ق ٤ يوما

أما كوكب المريخ نفسه فهو يتم دورته حول الشمس مرة في كل ٦٨٦٠١٥١ يوما وله دورة أخرى حول نفسه يتمها في كل ٢٣ ق ٢٤ ٣٧ وقطر المريخ يعادل ٤٣٠٠ ميل بينما قطر الأرض يعادل ٧٩٢٦٦ ميلا

السيارات الصغرى — هي عدة كواكب سيارة صغيرة تدور حول الشمس اكتشف منها الى اليوم ٧٠٠ كوكب وتزيد عن ذلك في الاكتشاف سنويا بمعدل ٢٥ كوكبا ولما كانت مع كثرتها قريبة جدا من بعضها اشتبكت مداراتها بحيث تعسر تمييزها ورسمها وأقرب كوكب منها الى الشمس هو الكوكب «ميدوسا» ويتم دورته حولها مرة في كل ٣٧٢ سنة أما أبعادها عن الشمس فهو الكوكب المسمى «هيدا» ويتم دورته حولها مرة في كل ٧٩ سنة. وهذه الكواكب أعني السيارات الصغرى حديثة الاكتشاف ولم تعرف قديما ومنطقها تنحصر كما سبق الشرح ما بين سماء المريخ وسماء المشتري

كوكب المشتري — المشتري يماثل الأرض في التكوير بمعنى انه مفرطح مثلها عند القطبين الا أنه أعظم منها حجما بحيث يبلغ قطره الاعظم ٩٠ ألف ميل وقطره الاصغر أعني البعد بين القطبين يبلغ ٨٤ ألف ميل. وله خمسة أقمار تدور حوله كقمرة أقربها اليه يتم دورته في ٢٢ ق ٥٧ ١١ وأبعدها عنه يتمها في كل ١١ ق ١٦ ٣٢ يوما والبقية تتفاوت دوراتها بين هذين الزمانين كل على نسبة بعده

أما كوكب المشتري نفسه فهو يتم دورته السنوية حول الشمس مرة في كل ١١٨٦٢ يوما وله دورة يومية أخرى كدورة الأرض يتمها في كل ٩ ق فقط وعليه فسرعة المشتري في الحركة حول نفسه تبلغ في الساعة الواحدة نحو ٢٨٥١١ ميلا بينما تتحرك الأرض لنفس هذه الدورة بسرعة ١٠٣٧٦ ميلا وكان المشتري على هذا الحساب أسرع من الأرض في الحركة اليومية بنحو ٢٧ مرة تقريبا

شوهده على سطح المشتري كلف طوقه ما بين القطبين يميل لونه الى الحمرة سريع التغير بحيث يشبه السحاب بمنظره العام كما ظنه البعض كذلك كوكب زحل — زحل هذا مبطوش أيضا عند القطبين وقطره الاعظم ٧٦ ألف ميل والاصغر ٧٠ ألفا يتم دورته حول الشمس مرة في كل ٢٩٤٥٨ سنة ودورته اليومية حول نفسه يتمها مرة في كل ١٠ ق فقط اي ان ذلك هو غاية طول يومه. ولزحل هذا تسعة أقمار تدور حوله على ابعاد مختلفة وسرعة متفاوتة اكتشف آخرها في سنة ١٩٠٤ م وهو أبعدها عن الكوكب يتم دورته حول نفسه مرة في كل ١٠ سنة على بعد ثمانية ملايين من الاميال

ولقد زان الخالق سبحانه هذا الكوكب بهاتين احاطتا بوسطه واحدة داخل أخرى وخصه دون غيره من بقية الكواكب بهذا التاج المزدوج البديع وكان الكوكب شعر باقتراده بهذا الانعام وأحس بجماله فتراه في الفضاء بهما يتمايل عجبا. وهما هاتين من جسم زادهما شعاع الشمس فوق جمالها الطبيعي بهاء ونورا.

وعرض الهالة الخارجة يبلغ ١١ الف ميل وهي على بعد ٧٥ الف ميل

من مركز الكوكب ولونها أبيض شاقق . وأما الحالة الصغرى فمعرضها ٢٩
الف ميل وهى على بعد ٤٤ الف ميل من مركز الكوكب ولون نصفها
الخارجى ناصع البياض والنصف الداخلى فولاذى اللون غاسق فسبحان مدبر
الامر وناظم الاكوان

كوكبي اورانوس ونبتون - اورانوس ونبتون هما أبعد الكواكب
السيارة فى فلكنا وأولهما أقرب الى الشمس كما سبق البيان من الثانى وللاول
أربعة أقمار تدور حوله على ابعاد مختلفة وهو نفسه يتم دورته حول الشمس مرة
فى كل ١٠٨ ر ٨٤ سنة . والثانى اى نبتون قر واحد وهو نفسه يتم دورته حول
الشمس مرة فى كل ١٦٤ ر ٦٢٢ سنة ولكل منهما حركة حول نفسه لم تضبط
بعد وقطر كل منهما يبلغ ٣١ الف ميل تقريباً

ذوات الذنب - من الكواكب ما لها ذنب عظيم ملازم لها الى
ما شاء الله وهو كما يرى بالنظر شعاع من نور منبعث من الكواكب فى الفضاء
على هيئة قوس يتدنى من الكوكب وكلما امتد اتسع وضعف نوره حتى
يتلاشى عند نهاية قوته . وسواء كان هذا الذنب من نور او أبخرة فهو ليس
بجسم صلب يخشى من تصادمه مع الارض اذا حصل وهو من الممكنات
الجازرات . والذى دل على كونه كذلك هو امكان رؤية الكواكب الاخرى
المستورة وراءه والى اليوم أسرارده لا تزال عنا غامضة فلا يقرن أحدنا قول
البعض عن هذه الاذئاب أنها أبخرة سامة الى غير ذلك من المفروضات الوهمية
التي تكثر عادة حول كل عجيبة مجهولة . وأزيدكم اطمئناناً أيها السادة بأنه فى سنة
١٨٦١ م قد صادم أحد هذه الاذئاب الارض ولم يحدث من ذلك أمر غير عادى

الاهم الا لمعان غريب فى الليل

هذا وأشهر الكواكب ذات الذنب هو الكوكب (هالي) الذى
سمى كما هي العادة باسم مكتشف حركته . وهذا الكوكب قد ظهر فى عام
١٨٣٤ ميلادية أعنى المرة السابقة بذنب طوله نحو ٢° فكان أجمل ما نظر
من أمثاله الى اليوم . ومداره ضيق جداً حول الشمس ممتداً الى ما بعد مدار
الكوكب نبتون أبعد كوكب سيار فى فلكنا وهالى يقطع مداره هذا مرة
فى كل ٧٦ سنة وبعده هذا الشاسع هو السبب فى طول غيبته عنا

أما المذنب الذى ظهر حول الغروب فى شهر يناير الماضى فهو أحد
المذنبات النهارية النادرة التي لا تلبث ان ترى حول الشروق أو الغروب
لبضعة ليالى حتى يحجبها عنا ضوء الشفق والنهار . وقد دلت الارصاد الاخيرة
فى مرصد غرنويش على أن هذا الكوكب يتحرك فى الفضاء وذنبه تابع له
طبعاً بسرعة مليون ميل فى الساعة الواحدة تقريباً . وطول ذنبه بلغ تسعة ملايين
من الاميال . وقال بعض الراصدين أن له فى الحقيقة ذنبان متلازمان بالنسبة
للعين المجردة أشبه شيء بمخلى السرطان البحرى

ويذكر من المذنبات النهارية مذنب سنة ١٨٨٢ م الذى مر حول
الشمس على بعد ٢٠٠ الف ميل فقط اى انه مس لهب الشمس المتصاعد حول حافتها
كما سبق الذكر . وتوجد مذنبات أخرى عديدة تدور حول شمسنا منها
المذنب المسمى بيلا الذى يتم دورته مرة فى كل ٦ ٣ سنة والمذنب المسمى
(العنق) ويتم دورته حول الشمس مرة فى كل ٣ ١ سنة وغيرها كثير من
الآيات الباهرات الدالة على وجود خالق عظيم ومدبر حكيم سبحانه (الذي

خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر
هل ترى فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك خاسئاً وهو حسير
قرآن كريم

محمد السيد

ملازم اول بالطواف نور البحر التابعة

لمصاحفة خفر السواحل

المصرية



التأليف في الاسلام (١)

سعد

من جملة مخطوطات دارالكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تعددت
مجلداتهما فدللا على اتساع نطاق التأليف في الاسلام ايام كان علماؤه منصرفين
الى العلم والعمل يصرفون ائمن اوقاتهم في خدمة الامة وهما كتاب السكواكب
الدراري في تبويب مسند الامام احمد على ابواب البخاري لجامعة الامام ابي
الحسن علي بن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق
الكبير لوضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من أهل القرن السادس .
هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس اجدادنا وشدة
ونائنا وجهالتنا فقد وجد من الاول مجلدات كثيرة ضخمة لا تقبل عن ثمانين
مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المائة بحيث لا يظن ان
الكتاب بلغ اقل من مائة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول
والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والادب
فهو دائرة معارف اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتب علماء
الحنابلة وكبار مجتهدي الامة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم
الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام

واما تاريخ دمشق فمنه الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة
وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً . ولقد

جری ذكره بین حافظ (١٠) مصر فی عهده زکی الدین المنذری و طال
الحديث فی امره واستظامه فقال حافظ مصر : ما أظن هذا الرجل الا
عزم علی وضع هذا التاريخ من یوم عقل علی نفسه وشرع فی الجمع من ذلك
الوقت والا فالعمر یقصر عن ان یجمع فیہ الانسان مثل هذا الكتاب بعد
الاشتغال والتنبه . قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف علیه عرف
حقیقة هذا القول ومتی یتسع الانسان الوقت حتی یضع مثله وهذا الذي
ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما یکاد ینضبط
حصره وله غیره تألیف حسنة

وبعد فان الخالق تعالی وضع فی أفراد من کل امة خاصیات وملکات
فلما یشارکهم فیها کثیرون وآثامهم یتخدمونها فی نفع البشر وتقوساً
لا تعرف الملل لدرك مقاصدهم الشریفة . وكلما ارتقت الحضارة فی شعب ینبغ
فیہ رجال یصرفون علی الافادة والاستفادة نقد اعمارهم ویتمحضون لاحسان
الخدمة حتی لا یکادون یرون السعادة والملاذوا الخیر وكل ما تطمح الیه نفوس
بنی الانسان من المعالی الا فیما هم بسبیلہ

ومن أنعم النظر فی تراجم نوابغ العلماء ودرس حیاتهم حق دراستها
لا یلبث ان یزول عجبہ اذا شاهد کیف كانوا یتغرقون فی اعمالهم ویتفانون
فیما أخذوا به نفوسهم فیزهدون فی المال والبنین ویفطمون أنفسهم عن حب
المناصب والمراتب والزخارف والفساسف

کننا ذات یوم نذكر لاحد اصديقنا من اطباء الذین صرفوا شطراً
من حیاتهم فی الغرب اتساع التألیف فی هذه الامة قديماً فقال اماما یبلغکم عن

اکثر المؤلفین فی الغرب الیوم من کثرة المصنفات فلیس لا کثرهم منه الا
النذر القلیل ینکته لهم اذکیاء المتخرجین بهم بعد ان ینکثوا ثقیفوا عنهم
بعض ماله علاقة فی الموضوع الذي ألفوا فیہ حتی اذا أتوا علی آخره یدفعونه
الی اساتذتهم فیجیلون فیہ انظارهم ویثولونه للطبع منفتحاً باسمائهم والمنصف منهم
من ینذكر أن تلمیذه فلان اعانه فی التألیف وبعضهم یضنون بمثل هذه الاشارة
ولما أوردنا لصاحبنا اسماً کثیر ممن اشتهروا فی الاسلام وألفوا التألیف
المتعة الضخمة وعنوا وحدهم فی الا کثر بجمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبليغها
وتسويدها وان ما أثر عنهم کان مردوداً لولم یرد علی لسان اهل العدل والصدق
من المؤرخین وعلماء التراجم وبعضهم قد ینکثون من اضدادهم وحاسدینهم —
عند ذلك اقتنع صاحبنا بصحة رأینا وقال ان حال الافرنج الیوم ینخالف حال
سلفنا فان الافرنجی مهمل بلع بن حبه الحکمة وتقانیة فی خدمة المعارف یقتطع
له اوقاتاً لراحته وادخال الفرح علی قلبه لینشط الی متابعة السیر فی عمله اما
الشرقی فانه یفرط فیما تمحض له خاله اما تعب لیس وراءه غایة او راحة ما
بعدوراً وراء

افتتح ای کتاب من کتب التراجم ولا سيما تراجم اهل القرون الستة
الاولی للاسلام تسقط علی مبلغ عناية رجالنا بالتألیف وتوفرهم علی النفع وقد
یظن ان معظم ما خلقوه من کتبهم هو دینی محض ولا أثر لهم فی العلوم
الدنیویة ولكن هذا الظن لا یغنی من الحق شیئاً لان جماهير المؤلفین المجیدین
لم ینکثوا متمسکین من علوم الدین باغفال علوم الدنیا بل انهم كانوا یمتقدون
بان العلوم باسمها نافعة فی الدارين وما نفع فی هذه الا ولی کان خلیقاً بان ینفع
فی الاخری

هذا أبو محمد بن حزم الظاهري وأهل الظاهر ثقافة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الأولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تأليف ممتعة فيما نعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الأندلس (١) أن تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين نحو من أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلاة وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير أن قومه من تلاميذ أبي جعفر خصوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاً فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ومن جملة تأليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو أصح التواريخ وأثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه: هل لكم أن أملي عليكم كتاباً في التاريخ قالوا كم يكون حجمه فقال ثلاثون ألف ورقة فاستعظموا ذلك وأرادوه على الاختصار حتى أملاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأينا اليوم أحد عشر مجلداً ضخماً أملاه بهذا القدر وهو نحو قل ويقول ماتت الهمم لأن تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه في ثلاثين ألف ورقة فإذا كان يقول لوجاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه

وإن جرير في إجادته في التأليف واكثره منه مشهور كسائر من

تقدمه ومن تأخر عليه من المصنفين مثل ابن تيمية من أهل القرن الثامن فقد قال فيه أحد واصفيه (١) أنه من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعليق مالا ينحصر ولا ينضب ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع أن تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً

منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه ويراجعه من الكتب. وقال غيره كان الإمام يكتب في اليوم واليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة الأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً أو قيل أن تأليفه تبلغ ثلثمائة مجلد.

ومثله أبو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون (٢) عديدة وكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون أنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال أنه جمعت برائة أقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها

ومن المكترين من التأليف ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن

أبى أصيبعة مصنفاته في زهاء أربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قال: وما أظنها تنقص عن مائة مجلد ومثله الفارابي أحد فلاسفة الاسلام كان مكثراً من التأليف وقد اضاع اكثرها لأنه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار القلاة ويجارى الانهار للتأليف فتطير الاوراق التي يكتبها

ومثله ابو الريحان البيروني قال ياقوت: كان لغويًا أدبيًا له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي اجازته السلطان بحمل فيه فضة فردده للاستغناء عنه وكان مكبًا على تحصيل العلوم منصبًا على التصنيف لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بمض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال: أفى هذه الحال قال: يا هذا اودع الدنيا وانا عالم بها أليس خيراً من ان أظلمها وانا جاهل بها قال: فذكرتها له وخرجت فسمعت الصراخ عليه وانا في الطريق. قال ياقوت: واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تقوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة. وقال بعض مترجميه: ان كتبه زادت على حمل بعير

والبيروني أحد كبار فلاسفة العرب يجي في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب (١) وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والارتماطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن النديم في ست صفحات. ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات الممتعة في الطب والعلوم العقلية

والادب وهو الذي استنار الغريون لاول نهضتهم بمصنفاته وأول ما طبع عندهم من تأليف العرب كتبه ذكر اسماءها ابن ابى أصيبعة في نحو سبع صفحات وابن النديم في ثلاث. ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الاسلامية حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن ابى أصيبعة تأليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتايف حنين وثابت فلسفية علمية وهم أئمة النقل من اليونانية الى العربية

ومن المكثرين من التأليف المجودين فيها حجة الاسلام الغزالي والماوردي وعمر بن بحر الجاحظ ودار الله الزمخشري وهذان الاخيران من أئمة المعتزلة قيل في الاول ان تأليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تأليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان والادب. ومن المكثرين المجودين من أئمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل ان تأليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة ومن أئمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المائة والخمسين الف ورقة

ومن المؤلفين الاول المكثرين من التأليف هشام السكلي العالم بالنسب واخبار العرب وایامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات وهي تزيد على مائة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ في نحو اربع صفحات ومنهم المرزباني من اهل القرن الرابع قال ان تأليفه بلغت ألوفاً من الاوراق ومن الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي وداود بن خلف الاصفهاني وابو العباس بن سريج المعروف بالباز الاشهب من أئمة الشافعية كانت فهرست كتبه تشمل على اربعمائة مصنف وقيل ان تصانيف الحافظ ابى بكر بن البيهقي تبلغ الف جزء

ولأبي بكر بن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريـب من مائة مصنف وللنسفي من كتب الاصول والفقه والحديث والادب والتاريخ ما يقرب من مائة مصنف وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة وللشعري خمسة وخمسون تصنيفاً.

وكان أبو حاتم البستي من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت (١) وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها الى مسعود بن ناصر الشجري ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها ما استحسنست سوى ما عدلت عنه واطرحته وهنا عدها جئات زهاء مائتين وخمسين جزءاً وبلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ قريبا من مائة مصنف . وانظمة المتكلم (٢) تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصول الدين وانما قيل له علم الكلام لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل أمخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم العباس فيه فسمى هذا النوع من العلم كلاما اختص به وان كانت العلوم جميعها تشر بالكلام اه ولأبي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب اليه اليوم ظلما كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر من التأليف نحو مائة واربعة عشر كتابا مع أنه لم يتجاوز الاربعين من عمره

ولرأس المتصوفة محي الدين بن عربي تأليف كثيرة ومنها الممتع ذكر في

(١) معجم البلدان (٢) ابن خلكان

اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازة ان يروى عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفاً واربعاً مائة مصنف والف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يدس عليهم بعضهم مالا يروقهـم ويقول فيهم ما ليس فيهم .

وابن سعيد الاندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف منها المرقصات والمطربات والمقتطف من ازاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان الغربيان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب — والمشرق في حلي المشرق — وغير ذلك قال لسان الدين (١) حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتابا يسمى الرزمة يشتمل على وقرعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب (٢) سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المائة جزء في الادب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد . ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني احد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس اديباً جليلاً ومن تأليفه (٣) الكتاب المظفرى المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً . وكتب

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة (٢) وفيات الاعيان

(٣) نظم الدول لسان الدين

عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مائة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو أربعين سنة ساحها بين العراق والشام ومصر والروم ومن المكثرين من التأليف والمتوسمين فيه أحمد بن أبان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مائة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب أخرى . ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المختص والمحكم وغيره وهو من المكثرين من التأليف والحفظ ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً . وبلغت تأليف محمد بن طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ — ٧٧ تأليفاً وألف عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفات في النحو قال سيدييه جمعها بمض اهل اليسار واتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولو تنافس اهل العلم وغلاة الكتب بمثل هذه الكتب لتعاورتها الايدي بالنسخ ولما فقدت .

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقرئ (١) رأيت في بعض التواريخ ان تأليفه بلغت ألفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك . ولا يبي عمر والداني القرطبي من علماء القرآن مائة وعشرون مصنفات وكان يقول ما رأيت شيئاً قط الا كتبه ولا كتبه الا حفظته ولا حفظته فنسيته وآخر من له التأليف الكثيرة من أئمة الاندلس ابو الحسن القلادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والقرائن

ومن عرفوا بسعة التأليف أحمد بن أبي عبد الله علي مذهب الامامية

فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الادباء . ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صنفيتين . ويقال ان تأليف ابي جعفر بن النحاس يزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا (١) ان محمد بن جماعة من اهل القرن الثامن كان اعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الالف فان له على كل كتاب قرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصول والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون آخر وعنه انه قال : أعرف ثلاثين علماً لا يعرف اهل عصرى اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف أحمد بن مكتوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من اهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من اهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من اهل القرن الثامن وله مائة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد

واعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان (٢) قال الفث ثلثمائة كتاب في الفلسفة والفأ وثلثمائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (?) والفأ

وثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم الفت في الطب كتابا عظيما
والفت كتابا صغارا وكبارا والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال:
ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة
والفت كتباً في النيرانجيات والفت في الاشياء التي يعمل بنحواصها كتباً
كثيرة ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم الفت كتاباً
في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض

وماذا عسانا ان ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في المكثرين
من المؤلفين العارفين ولو اردنا ان نذكر فقط من لهم منهم الى عشرة كتب
لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه . وانا ليجزنا يوم نذكر ان كل
واحد من ذكرنا خلف الامة خزانة كتب من مصنفاته وثلثت الآن عن
ايماننا وعن شمالكنا فلا نرى المؤلفين في الاقطار العربية يعدون على الاصابع
والمكثرون منهم من لا تتجاوز مصنفاته العشرة



تاريخ الكتابة العربية

من المعلوم أن الناس بالنسبة الى اللغات ثلاث طوائف كبرى. الطائفة
الاولى أهل اللغات (السامية) وأشهرهم المتكلمون بالعربية ثم العبرانية ثم
السريانية ثم الكلدانية ثم الحبشية ثم السامرية من اللغات الحية . والفنيقية
والبابلية من اللغات الميتة ولكل منها حروف خست بها بحسب الظاهر وان
كان مرجعها واحداً في الحقيقة . ويتسمى الساميون الى سام بن نوح كما هو
معروف والطائفة الثانية أهل اللغات (الآرية) وهي جنوبية وشمالية . فاما
الجنوبية فهي المنتشرة في الهند وفارس وكتابتها أصبحت بالحروف العربية
بفضل انتشار الحضارة الاسلامية فيها (وذلك ما عدا اللغة السنسكريتية التي
تعتبر من أقدم لغات العالم) . وأما الشمالية فهي اللغات المعروفة بالهندية
الاوربية وتشمل لغات أوروبا وقسما عظيما من أمريكا وكتابتها بالحروف
اليونانية واللاتينية او الرومانية والسلافية أو الصقلية ومرجع هذه الحروف
كأما اليونانية لأنها مصدرها

والطائفة الثالثة اللغات (التورانية) وأهمها التركية وكتابتها

بالحروف العربية

فمن ذلك نستنتج أن الحروف العربية انتشرت في طائفتين من أهل
اللغات البشرية بل وفي الثالثة في اللغة الاسبانية وذلك بفضل انتشار المدينة
الاسلامية . فان بعض العرب عند ما زالت دولتهم بالاندلس كان يكتب
علومه ومعارفه ومنها الفقه والحديث والتصوف وغير ذلك بحروف عربية

ولكن الكلام اسبانيولي قديم وبعض هذه الكتب محفوظة الآن في مكاتب أسبانيا وتسمى هذه اللغة (الخيادو)

كذلك يوجد في بلاد الشام عدد عظيم من السريان يكتب اللغة بالحروف العربية ويسمون هذه الكتابة (القلم الكرشوني)

وكذلك أهل مدغشكر وأهل جزائر ملايو وأهل موزنبيق فانهم يكتبون لغاتهم بالحروف العربية مع زيادة وتعديل وان كان لسانهم بعيداً عن اللسان العربي. وكذلك اللغة الاوردية الشائعة في بلاد الهند

وكل هذا دليل على انتشار الحضارة الاسلامية واتساع نفوذها ورسوخ أصولها في أغلب بلاد العالم

تتخصر أشكال الحروف المستعملة الآن في سبعة أشكال وهي العربية والسريانية والكلدانية والعبرانية والحبشية والسامرية واليونانية وهذه الاشكال السبعة من أصل واحد تطرق اليه التعديل والتحريف ويرجع ذلك الى صعوبة المواصلات في الايام الخالية ولعدم وجود الضابط الذي يرجع اليه في رد التغيير الى أصله لان الطباعة لم توجد في ذلك الوقت

ومع ذلك ففي الوقت الحاضر مع وجود الطباعة والقواعد المقررة عند الخطاطين فاننا نرى الحروف العربية وهي واحدة متغايرة بحسب البلاد المختلفة فلها اشكال مختلفة اختلافاً جزئياً في مصر والشام والعراق وفارس وتركيا وتونس والجزائر والمغرب وغيرها من البلاد التي يكتب أهلها لغاتهم غير العربية بالحروف العربية

وزيادة على ذلك فاننا في مصر نكتب الحروف بصور مختلفة فلبعض كتاب الاقباط طريقة مخصوصة وللقهلاء الكتابية طريقة مخصوصة

ولكتاب الدواوين نمط مخصوص. وبالمثل عند أهل الاقطار الاخرى ذوى اللغات الاجنبية ومما تقدم يفهم سبب اختلاف اشكال الحروف عند الامم القديمة اذ لم يكن عندها ضوابط يرجع اليها مما هو موجود بكثرة لدينا الآن. ومن تأمل في الخطوط السامية وجد التقارب بينها ظاهراً كثيراً وسهل عليه اشتقاق بعضها من بعض ما عدا لغة آشور فانها تكتب بالصور.

ومرجعها كلها الى أصل واحد أي الى الصورة الفينيقية

هذا والزمن الذي ابتدئ فيه باستعمال الخط العربي قديم غير معين وأول الخطوط العربية هو الخط الحميري المعروف بالقلم المسند وقد بلغ درجة عظيمة من الاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغته من المدينة والحضارة. وبعد ذلك انتقل منهم الى الحيرة في دولة المناذرة والنعمانية ولكنه لم يبق على مكائنه بل حصل به تغيير ونقص في الجودة وسبب ذلك هو الفرق العظيم بين الدولتين في المدينة والحضارة وعزة الملك ثم أخذته قریش من أخيرة قبل النبوة بقليل

واول من كتب بالعربية على أشهر الاقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خطهم بالمسند وهو الخط الحميري وكانوا يكتبونه حروفاً منفصلة ويمنعون العامة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيء فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لأنه اقتطع من خط حمير ثم علموه أهل الانبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فاخذها عنهم أهل الحيرة وتداولوها ولما قدم الحيرة حرب ابن أمية القرشي جد معاوية بن أبي سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز بعد أن عاد الى مكة ومن تعلمها من أهل الحجاز ورقة بن نوفل ابن خال خديجة زوج النبي صلى الله عليه

وسلم وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدم ومنذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم أخذت الكتابة في الانتشار . فقد جاء الاسلام والذين يعرفون الكتابة نقر قليل من رجال قريش منهم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبو عبيد بن الجراح وطلحة بن عبد الله ويزيد بن أبي سفيان وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وغير هؤلاء . وكذلك قليل من النساء

ولما هاجر المسلمون الى المدينة وجدوا في أهلها قسراً قليلا من اليهود ومن الأوس والخزرج يعرف الخط فاستعملوا من الأوس والخزرج لكتابة الوحي أكثر من ثلاثين رجلا وكان أول من كتب الوحي أبي بن كعب الانصاري ولما استقر الاسلام في المدينة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أطفالها الكتابة والقراءة واستعمل في ذلك من أسرى بدر من لم يستطع أن يفتدي نفسه بالمال فكان فداء الرجل الواحد منهم تعليمه عشرة من أولاد المسلمين الكتابة والقراءة

ومن أجل أسباب نشر الكتابة العربية هي الدواوين الاسلامية . وأول من رتب الديوان هو أمير المؤمنين الخليفة العادل عمر بن الخطاب فقد كثرت الفتوحات في أيامه . ولكنه قصره على قيد أسماء البعث لمعرفة من يغيب وحصر أسماء الجند الاسلامي على ترتيب الانساب مبتدئاً من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالأقرب . فكان الغرض من هذا الديوان الذي كان مركزه المدينة المنورة معرفة من يغيب ومعرفة الحصنة في الغنائم التي يغنمها المسلمون في الفتوح

أما دواوين الايراد وهي التي تسمى بدواوين الخراج والجبايات فكانت تكتب بغير اللغة العربية أي أنها بقيت بعد الاسلام على ما كانت عليه من قبل . فديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وديوان مصر بالقبطية وكتابها من أهل العهد الذميين . الى زمن عبد الملك بن مروان . ففي مدته انتقل القوم من البداوة الى الحضارة ومن سذاجة الامية الى حذق الكتابة وظهر في العرب وفي مواليهم مهرة في الكتابة والحساب فنقل ديوان العراق من الفارسية الى العربية والذي نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسية . ونقل ديوان الشام من الرومية الى العربية والذي نقله هو سليمان بن سعد والى الاردن واكمله لسنة من ابتدائه . ونقل ديوان مصر من القبطية الى العربية والذي نقله هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية لان الأمة اذ ذاك أمكنها أن تستغني عن القائمين بها من أهل هذه البلاد كان الخط في أول الاسلام غير بالغ منتهاء من الاحكام والتنميق ولا الى التوسط منه لقلة المشتغلين وقتئذ ولان الخط هو من جملة الفنون والصنائع التي تقبل الزيادة والنقص فاننا اذا نظرنا المصاحف القديمة المكتوبة باقلام الصحابة الباقية من ذلك الزمان المحفوظة في خزائن الكتب العامة رأينا أن خطوط الصحابة كانت غير متقنة ثم أتى من بعد هؤلاء السلف الصالح خلف ظنوا أن الخط من الامور التي لا تقبل زيادة ولا نقصاً أو أنها قد بلغت درجة الكمال ببركة الصحابة فاتبعوا طريقهم من غير تغيير ولا تبديل وهذا الظن سيء فان الصحابة رضى الله عنهم لم يتقنوا الخط لان

زمنهم وحده غير كاف لاتقانه واعلاء شأنه . فكان الواجب على من يخلفهم
العناية به ليلبغ منه ما أرادوا أن يبلغوه من الجودة والاحكام . أما ما ظنه بعض
الناس من أن الصحابة كانوا محكمين لصناعة الخط خطأ وغير ميسور لهم
اذ ذاك

قال ابن خلدون : « أن أولئك المغفلين حسبوا أن أغلاط الرسم التي
وقعت من الصحابة كانت مقصودة وراحوا يظهرول لها أوجهاً ما أنزل الله
بها من سلطان لاعتقادهم أن في ذاك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة
الخط وحسبوا أن الخط كمال فنزهوه عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته
وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه مع أن الخط ليس بكمال في حقهم
اذ الخط من جملة الصنائع المدنية الماشية والكمال في الصنائع اضافي ليس
بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود
على أسباب المعاش ونحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالة على مافي
النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً وكان ذلك كما لافي حقه وبالنسبة
الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران
كلها وليست الامية كما لافي حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن
متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان
الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا » اهـ

استمر الخط على حاله القديمة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين وذلك لان المسلمين في ذلك العصر كانوا مشتغلين بالحروب
الخارجية والفن الداخلية حتى جاءت الدولة الاموية فتحت البلاد وملاكتها
ورفعت عليها العلم الاسلامي فابتدأ الخط في الارتقاء والتحسين وأول من

كتب في أيام بني أمية قطبة وقد استخرج الاقلام الاربعة واشتق بعضها
من بعض وكان اكتب الناس . ومن اشتهروا بحسن الخط في أيام بني أمية
خالد بن أبي الهياج وكان قد نصب لكتابة المصاحف والشعر والاخبار
للوليد بن عبد الملك الامير الاموي . وكان الخط العربي هو المعروف الآن
بالخط الكوفي ومنه استنبطت الاقلام

ولما أتت الدولة العباسية واتسع في عصرها نطاق الحضارة والمدينة
أخذت صناعة الخط في النمو والتقدم . كما تقدمت كافة الفنون والصنائع
والعلوم والمعارف وقد اشتدت حاجتها الى الخط بعد ان اختط العباسيون
البصرة والكوفة وأنشأوا دور العلوم وعزموا على نقل العلوم من اللغات
الاجنبية الى اللغة العربية فاعتنى به بعض الكتاب والعلماء في البصرة والكوفة
وهما مدينتا العلم عند العرب فبلغ بعض الحسن والجودة وسموه بالخط
الكوفي لتفوقها فيه وان كان دون الدرجة المطلوبة

ولما فتح العرب افريقية والاندلس واختطت بغداد في عصر بني العباس
وصارت مقر الامارة العربية علا فيها شأن الخطوط وبلغت درجة عالية
وسمى خطها بالخط البغدادي وخالفت أوضاعه في بغداد أوضاعه في الكوفة
في الميل الى اجادة الشكل وحسن الرسوم

ومن اشتهروا في الخط في عصر العباسيين الضحاك ابن عجلان ظهر
على أثر قطبه الذي كان في الدولة الأموية واستخرج الاقلام الاربعة . ثم
اسحاق بن حماد في ملك المنصور والمهدي وله عدة تلاميذ كتبوا الخطوط
الاصلية الموزونة وهي اثنا عشر قلماً . قلم الجليل . قلم السجلات . قلم الديباج .
قلم اسطور مار الكبير . قلم الثلاثين . قلم الزنبور . قلم المفتح . قلم الحرم . قلم

المؤامرات . قلم اليهود . قلم القصص قلم الجرفاج . وغيرهم
ولما ظهر الهاشميون حدث خط يسمى العراقي وهو المحقق واستمر في الزيادة
حتى وقت المأمون فاجاد كتابة الخطوط . ثم أحدث ذو الرياستين الفضل بن سهل
الوزير الكاتب خطأ نسب اليه وسمى القلم الرياس ثم ظهر أبو الحسين اسحق بن
ابراهيم التميمي معلم المقتدر وأولاده وكان أحسن أهل زمانه في الكتابة
ألف رسالة في الخط سماها (تحفة الزراري) وبعد ذلك ظهر الوزير الكاتب
أبو علي محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨ واخترع نوعاً من الخط سمي بالخط البديع وهو
الخط النسخ الشائع اليوم حسب ما اشتهر بين الكتاب ونقله ابن مقله من خط الكوفيين
وقال بخلاف ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل وقت
ابن مقله كما رأوا ذلك في بعض الرسائل والصحف التي كتبت قبل ابن
ولا يزال ذلك محتاجاً الى البحث والتحقيق . وكان ابن مقله مشتهراً بحسن
الخط حتى كان يضرب به المثل . ثم ظهر صاحب الخط البديع علي بن هلال
الكتاب الشير المتوفى سنة ٤١٣ هـ وقد أقر له أهل زمانه بعدم المشاركة في
حسن الخط ممن تقدموه . وان كان ابن مقله أول من نقل هذه الطريقة
عن الكوفيين فان علياً بن هلال هذب طريقته ونقيها . ثم ظهر ابو المجد
ياقوت بن عبد الله الرومي المستعصى المتوفى سنة ٦٩٨ وهو أجل الخطاطين
بعد ذلك اشتهرت الاقلام الستة بين المتأخرين وهي الثلث والنسخ
والتعليق والريحاني والمحقق والرقاع واشتهر فيها كثير من العلماء . ثم ظهر
القلم الديواني والدشتي وبقي الامر تابعاً لرونق الدولة وانخفاضها حتى جاء
عصر الاتراك فاوجدوا الخط الرقعة والهاميوني وأتقنوا النسخ والثلث
واليهم انتهت الرياسة في الخطوط الى وقتنا هذا

التربية والتعليم

المرأة المصرية والحجاب

يشغل كثير من الباحثين بالكتابة في موضوع المرأة المصرية والحجاب فمنهم من
يدعو الى نزع بجرأة فائقة ويحمله مع ذلك أنصاراً يلبن دعاءه ويستجيبون ندائه
ومنهم من يحث على صيائه ويستنصر حملة الاقلام لتأييده ناقلين من شكل الحجاب الحالي
كونه شفافاً . وقد اشتد النزاع بين الفريقين وأخذت الصحف تفيض في هذا الموضوع .
لذلك آثرنا أن نذكر هذه المقالة التي تفضلت فبعثت بها اليها السيدة الفاضلة للاقسام
الشمالية . وانا نشرها ههنا وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء القادم فقد ضاق نطاق
هذا الجزء عن استيفاء الكلام فيه . قالت السكاتبة الفاضلة :

ثارت ثائرة كتابنا من جديد على مسألة الحجاب وقام منهم من حكموا
بهواهم أن سبب تأخر الامة هو (الحجاب) وأثبتوا بادلتهم التي هي أوهى
من نسيج العنكبوت أن الحجاب عادة لا شرع وعلى فرض أنه من المشروعات
السموية فيلزم الرجوع عنه لانه لا يلائم مدينة أوربا الحديثة التي نسمى اليها
سعيًا حثيثاً !! الخ الخ

نظرت في هذه الاقوال وانا في غاية الحيرة والدهشة لانني ما كنت
أتخيل أن مسلماً واحداً يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عن لقيف من الافاضل
الذين تصدوا لارشاد الامة واصلاح معوجها

عجبت ويحق لي العجب من هؤلاء الذين تمكنوا المدنية الغربية من
أعصابهم حتى حجبت بصائرهم عن ادراك مراعي الاسلام التي تكفلت باسعاد
الامة الاسلامية في كل زمان وأوان

ومن غريب أمر هؤلاء المتفرنجين أنهم يستندون في مطالبهم بحقوق المرأة على زعمهم أن هذه المطالب هي التي تقتضيها حالة المرأة المصرية !! أنا لا أنكر أن هذه المطالب من أعظم أمانى (المرأة الجديدة) ولكن لا يخطر بفكرى ساعة أن أعذر الرجل على خضوعه لسلطان المرأة بحجة أن هذه المطالب الجديدة أصبحت حقوقاً (شرعية) لأن الجاهل المستحوذ عي عقول نساء عصرنا عصر العلم والعرفان أكبر منه في عصر الجاهل الحقيقي لأن التعليم المصري تعليم أوربي خال من كل مادة دينية يتولد منها الوازع عن الغنى والضلال والحض على المحافظة على العفاف خوفاً من عقاب الله تعالى وحرصاً على شرف الأسرة المصرية وذلك أن الفتاة إذا تربت تربية دينية أيقنت بأنها إذا تسترت في ارتكاب المناكر من أولياء أمورها فلا يمكنها أن تسترها عن الخبير العليم وبذا يكون لوازع الدين تأثير أكبر وأبقى من سيطرة أبيها

إن الأمم الغربية نالت درجتها الحالية من العز والمنعة باستعمالها الحزم والعزم وأعمال الفكرة في ترقية شؤونها بكل الطرق الفعالة ومن مواد أعمالها تربية المرأة وتهذيبها لأنها هي الاستاذ الأول لآبناء الوطن فتأملت بتربية النساء بطرق توافق مزاجها وعاداتها وأخلاقها فنجحت كل النجاح وبلغت أمنيتهن في ارتقاء مدارك نسائها وتنجيز ينابيع ذكائهن غير أنها لم يمكنها أن تتغلب بهذا التعليم وتلك التربية على عصم النساء من الخنابل ثبت في إحصائية إحدى الدول أن في المائة أكثر من نصفها ملوثات وهذا ناشئ من اختلاط الجنسين اختلاطاً لا يحى له دين

هذه حالتهم التي يريد بعض الناس أن يجعلونا فيها ويحئوننا عليها ولا حول

ولا قوة الا بالله .

غفل هؤلاء المتفرنجون عن مشاريع دينهم القويم لأنهم لم يطلعوا عليها لعدم تربيتهم تربية دينية ولعمري أن الآباء والاجداد لمسؤولون طويلاً أمام الباري جل وعلا . ولقد احتوي قرآننا الكريم على كل حاجياتنا وضرورياتنا وكلياتنا ولا يحتاج الا الى نظرة بسيطة مزوجة بالتأمل والفهم والاستنتاج مقرونة بتنفيذ ما أمر القرآن الشريف اى تطبيق العلم على العمل فوالله الذى لا اله الا هو لو أخلصنا النية وطلبنا من الله الامداد والعون على الظهور بالمدينة الاسلامية الصحيحة لرأينا أنفسنا وقد استرددنا مكانتنا السامية السانقة واذ ذاك يصدق علينا المثل القائل (ما شبه الليلة بالبارحة) ايه ايها الكتاب ان الله تعالى أراف منكم بالمرأة التي تدعونا انكم انصارها كيف يعقل انكم تريدون اعضاءها حقوقها من الاحترام وغيره ولكن على شرط بعد الاختلاط بكم لأنها تكون قد اكتسبت شيئاً من العلم بتحركاتها بالرجال واندماجها في سلوكهم في المحافل اناشدكم الله ايها الرجال أن تخبروني هل أنتم تمثلون شيئاً من الآداب الراقية في مجالسكم الحالية من النساء فكيف بكم اذا كانت في وسطكم سيده ؟ لاشك أن الطغنة تكون نجلاء في كبد الفضيلة . ومع ذلك فهل ثمة حجاب بين الرجال والنساء بالمعنى الصحيح حتى تريدوا نزعها ؟ ألم يتسرن في الشوارع من الصباح حتى المساء ألم يذهبن الى دور التمثيل ويشهدن تشخيص فصول الغرام ؟ هذا هشام بن عبد الملك كان شديد الولع بارتداد الشهوات كما هو معلوم للمطلع على التاريخ ولكنه كان شديد الغيرة على عرض أمته كغيره على حاشيته

استيقظ هذا الخليفة مرة في الثلث الأخير من الليل وقد كان خرج

عن عاصمة ملكه بعسكره لأمر ما فسمع رجلا يتغني من الجند فامر باحضاره
فخضر وغنى بين يديه فقال هشام لا يمكن أن تسمع هذا اني الاوتصبوا اليه
فامر بخصي الرجل فخصي

فانظروا ياربكم الله وقارنوا بين هذه الغيرة الفائقة وحالتكم الحاضرة .
ثم ألم نذهب الى أماكن الزهمة والرياضة ونجتمع بالرجال ويختلط الحابل
بالنايل ؟ ألم نذهب الى محلات التجاره لشراء ما يلزمنا وهناك تتمثل الرذيلة ؟
ألم نرفع الحجاب على أبناء العم وأبناء الخال وأبناء العمه والخالة وهكذا الأبعد
فالأبعد من الأقارب ؟ وحبذا لو اقتصرنا على الأقارب بل زدنا الطين بلة
ورفعنا الحجاب أيضا عن الخدم المكلفين !!

والأغرب من ذلك أننا فضلا عن الحالة السيئة التي وصلنا اليها نجد
رجالا من أبناء قومنا المسلمين يشنون الفارة على فضائل الاسلام التي لو
تمسكنا بها لما أصابتنا هذه النوازل

عجيب والله أمر هؤلاء الكتاب كيف استهوتهم المدنية الغربية بزخارفها
حتى نصلتهم من الغيرة الاسلامية يريدون بتجويهاتهم أن يسقطونا في هوة
بحسن نية أو خبت طوية ألم يعلموا أن الله تعالى قد ضرب علينا الحجاب
حفظا لانسابنا وصونا لكرامتنا من الابتذال لان لسان الحكمة نطق بان
كل محجوب محبوب وكل مبذول مردول وحصنا لاعراضنا من التلويت
بادران الشوائب والمحرجات . ألم يعلموا أن الحكمة الربانية سدلت على أوجه
ربات الحدود برقع الحياء ولثام الخفر فلا يمكنهن أن يكن مثل الغربيات
ولا يجترأن على هتك العفاف مثل هؤلاء . وما ذنب الحجاب واهتضام
حقوق المرأة مع أن الله تعالى بين لها مركزها في الهيئة الاجتماعية بما اذا

فتم به لكائنات المرأة في أقصى درجات السؤدد وهي في حجابها الكثيف .
أيها المتفرنجون اذا كنتم آمنتم بالقرآن وتعتقدون كما أعتقد أنا مسلمون
فيلزمكم ان تخضعوا بكل خشوع لأوامر الله تعالى لانه سبحانه لا يأمرنا
بشيء الا وفيه خير لنا ولا ينهانا عن شيء الا وفيه ضررنا والتأمل البصير يعلم
أن الأمر بالحجاب جاء في صدر الاسلام وقت أن كانت الغيرة متوفرة بين
الرجال والنساء على حد سواء وزواج الدين بالغة منتهىها من صدور المسلمين .
فالأولى بالحجاب عصرنا هذا الذي صار فيه الاسلام اسمى في هذا القطر أما
اعمال المصريين فلا أدري على أي دين ينسبون وربما يقوم أحدا عدا المرأة
المسلمين أنفسهم أنصارها ويسأل أحد الفقهاء عن آية من القرآن الشريف تنفي عن
المرأة الحجاب فيجيبه ذلك النقيض بان الآية خصيصية بنساء النبي صلى الله عليه
والسلام وهي قوله تعالى (واذا سألتهم عن متاعا فاسألوهم من وراء حجاب)
فيأتي بها على صفحات تلك (الجريدة) التي عاهدت الله تعالى على ان لا
تدع بابا لا ضمحلال الأمة الافتحته . . ويبنى العلالى والقصور ويحتج بشدة
ضدى وضد أنصار الحجاب * فأقول له على رسلك أيها المتفرنج نعم ان هذه
الآية خصيصية بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اذا كان الحجاب قد
ضرب على نساء النبي عليه الصلاة والسلام وهن أمهات المؤمنين وهن لسن
كأحد من النساء فالأولى به السواد الأعظم من النساء لانهن لم يبلغن هذه
الدرجة . ومن جهة أخرى فان المفضل تابع للفاضل . ومع ذلك فان الله
تعالى قد خص المؤمنات بأية تشبه هذه الآية تماما وهي قوله سبحانه وتعالى
(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) وقوله تعالى (وقل

للمؤمنات ينقضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن (إلى آخر الآية) وقال صلى الله عليه وسلم « خمس بخمس ما نتقض العهد قوم الأساطا الله عليهم عدوهم . وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشافهم الفقر . وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشافهم الموت . وما ظففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين . وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر لولا البهائم » الحديث

ولقد صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم . فإن الحوادث التاريخية الغابرة والحاضرة جاءت محققة لمعانى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . هذه أمة الاندلس بلغت الشأو البعيد وحازت منتهى درجات الكمال والمجد الشاخي حتى أن أوروبا استمدت مدنيتهما منها . بلغت هذه المنزلة لأنها كانت محافظة على سنن الدين متحلية بأدابه ممتثلة لأوامره منتهية عما نهى عنه ولكن عند ما أخذت منها نشوة الشوكة والسيادة مأخذها الأوفر فأنستها واجباتها نحو الدين وعمات بما أسخط الرب سبحانه خصوصاً عند ما تحككت باسبانيا فأذهب الله ريحها وسلط عليها الاسبانيون يسحقونها سحقاً وهكذا وعيد الله تعالى لمن ند عن صفقة المسلمين قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها) تدميراً (الآية فأصبحت عبرة للمعتبرين ولم تغن عنها قوتها ولا حميتها من أمر الله شيئاً

ولعمر الحق لو كنا نشد الصراط السوى من طريقه لجعلنا عبرة الاندلس نصب أعيننا وبنينا عليها المقالات الطوال في البحث والتنقيب عن سبب سقوطها واضمحلالها لتتنبك الأمة المصرية هذه الزلات . ولكن ما

العمل ورجالنا يرون ان الأمة قد ارتقت ومع ذلك فأنهم يريدون أن يهدموا بيوتهم بأيديهم ويتعجلوا لا تقسمهم الدمار . قال الله تعالى (ما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) فهل للمصريين من رجعة قبل أن يتحقق فينا وعيد الله كما تحقق في الاندلس ؟

بقي على أن أورد على انظار اعداء المرأة (انصارها) شذرة من مقالة للكاتب الحر رئيس تحرير جريدة الريفورم الغراء ليقارنوا بينها وبين صياحهم الذي يشبه نعيم الغربان لأن الغراب لا ينق إلا عند خراب الحى قال الكاتب * ولقد كان قاسم أمين شديد التعصب لمبادئ الحرية والتحرير وفي اعتقاده أن في الامكان نقل عادات الغرب الى الشرق كما تنقل البضائع * الى أن قال * فقد ظن أن المرأة المصرية بمجرد رفعها الحجاب تصبح مساوية في حالتها الاجتماعية والعقلية للمرأة الهيئة الاوربية كأنه يجهل ان (الحريم) إنما هو نتيجة لازمة عن الشرف نفسه

واذا تحققت افكار قاسم أمين يوماً ما واصبحت آثار الزمن الماضي نسياً منسياً وحلت محل العادات القديمة عادات جديدة فلم يبق في القاهرة أحياء وطنية ولا (حريم) فان مصر تذهب هي والمصريون ولا يبقى في مصر الا بلاد مجردة عن كل جمال يسكنها شعب لا ينتسب لاحد الشعوب انتهى ملخصاً

فاتقوا الله أيها القوم وتنبهوا للخطر المحقق بكم قبل أن تندموا ولا ينفع الندم كما ندمت أوروبا على لسان أبنائها العقلاء ولم يجدوها ذلك تفعلاً هذا وإنى أنصح لبنات جنسى أن لا يتخذ عن بترهات هؤلاء الكتاب

ابحاث شتى

النسخ في القرآن

الحكمة فيه

حسد الكفار النبي صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوة والحكمة ولم يقف حسدهم عند هذا الحد بل تجاوز الى الطعن في القرآن فقالوا ان محمداً يسخر بقومه فيأمرهم بأمر وينهاهم عنه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً . ما هو الا متقول من عند نفسه مفتر على الله . وهذا معنى قوله تعالى ردأ عليهم وتكذيباً لهم (ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) الى أن قال (ودد كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)

واذا ثبت ذلك قديماً فلا يبعد الآن أن يطعن بعض السفهاء أعني (ميخائيل منصور) في الطريقة المسماة بوريقة (بشار السلام) في أمر النسخ في القرآن الكريم ما يأتي

(١) ان النسخ عند المسلمين يكون في وقت واحد على لسان نبي واحد وهذا يناقض قولهم ان النسخ للمصلحة الانسانية اذ لا يعقل أن تغيير المصلحة الانسانية في يوم أو يومين مثلاً بخلاف ما عندنا في الكتاب المقدس الخ

المتفرجين لانهم لا يريدون الا زيادة الفجور وتعميم الشرور بطريقة عيانية على مرأى من أولياء أمورنا من جهة ومن جهة أخرى ليخلدوا لانفسهم اسم انصار المرأة وما هم الا أعداؤها

فالله الله في العفاف والله والله في العز على الحجاب بالنواجد والله والله في الخضوع التام لأوامر الله تعالى والله الله في استعمال النظر الصحيح لنستجلى حال المستقبل من تاريخ الماضي . كما انصحكم بانكن اذا اردتن ان تسرن سيرة مرضية بين الاسلام التام والمدنية الحديثة ان تعلمان كتاب المرأة المسلمة لمؤلفه الاستاذ العالم الكبير وجدي بك برناجكن الذي تسرن عليه وتستضئن بنبراسه لمير فانه هو الكتاب الوحيد الذي سوى طرق سعادتنا الحقيقية وناهيك به كتاباً من بنات افكار فيلسوف العصر وفقني الله تعالى واياكن لما فيه صلاحنا وحمانا من الهوة التي يريد ابناء قومنا أن يدهوروا فيها انه سميع مجيب



(٢) ان النسخ عند المسلمين ليس للتكميل واصلاح المعوج بخلاف ما يسميه البعض عندنا بالنسخ الخ

ان كثيراً من النسخ عند المسلمين لم يقع لغرض كالمسوخ تلاوة لا حكماً والمنسوخ حكماً لا تلاوة فعلى المسلم أن يقرأ الكتاب المقدس الخالي من النسخ على تلك الصورة البعيدة عن العقل والحكمة ويعول عليه دون ما سواه لانه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الخ

هذا بعض ما هدى به ذلك الخرف ولتقتصر على تفنيده في هذا المقال

(ج) ان النسخ حقيقة يكون عندنا معاشر المسلمين في عصر واحد على لسان نبي واحد ولكنه لا ينافي قولنا انه للمصلحة الانسانية لان الله تعالى ارسل النبي محمداً عليه الصلاة والسلام الى الامة العربية وهي تعبد أحمجاراً كانت تنحط بايديها من الجبال فانقذهم من ظلمة الجهالة والوحشية الى نور العلم والمدنية. وقوم هذا حالهم يجب أن يعاملوا على حسب أحوالهم وما يقتضيه تقدمهم شيئاً فشيئاً

ولاشك أن حال العرب أول الاسلام غيره بعد انتشاره فاذا عوملوا بالحكم مناسبة لهم في أول أمرهم ثم تغيرت حالهم بعد ذلك كان من العدل تغيير الاحكام التي لا تناسب حالهم بعد وابقاء المناسب منها ولو بقوا بعد التغيير يعاملون بالاحكام السابقة كان ذلك ظلماً والله تعالى منزله عنه (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

كما أن الملك الخازم يجب عليه أن يعامل رعيته بقانون يناسب حالها

حتى اذا انتقلت من حالة الى أخرى بدل بعض المواد غير المناسبة للحالة الثانية بمواد أخرى مناسبة لها وأبقى ما يصلح للحالتين

واذا بقي يعاملها بما كانت تعامل به ولم ينسخ ما لا يوافق مصلحتها كان ذلك الملك ظالماً معرضاً نفسه لعدم امتثال أوامره واجتتاب نواهيه لكونه كلفها ما لا تطيق

اذا شئت أن تعصى ولو كنت قادراً فمر بالذي لا يستطيع من الامر

ج (٢) النسخ عندنا معاشر المسلمين ليس الا للتكميل واصلاح المعوج لان المسوخ أنزل ليعمل به في زمن محدود وحالة مخصوصة لكونه صالحاً لهما فاذا ما انتهى ذلك الاجل وتغيرت تلك الحالة انقلب العمل بتلك الاحكام غير صالح وصار معوجاً بعد أن لم يكن فاذا نسخت تلك الاحكام باحكام أخرى تتجدد مع المصلحة في الزمان والحالة الثانية كان ذلك تكميلاً واصلاحاً لما لو بقي لكان معوجاً غير صالح

ج (٣) النسخ عندنا معاشر المسلمين لا يقع الا لغرض من الاغراض الصالحة لسياسة الملك سواء كان المنسوخ منسوخ الحكم فقط أو منسوخ التلاوة فقط أو منسوخهما معا

أما الاول وهو ما نسخ حكماً لا تلاوة فحكيمته اما التخفيف والتيسير للعمل به كآية اعتداد المتوفى عنها زوجها حولاً كاملاً وهي قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج) نسخ خصوص حكماً باعتدادها أربعة أشهر وعشراً من الليالي وهو قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) اذ لو بقيت الآية الاولى معمولاً بها حتى الآن لكان

متلفة للعقول مذهبة للاموال فانزل الله لنا فيها شيئاً فأُنزل الله تعالى هذه الآية مبيّنة بعض مفاسدها ولم تحظر عليهم تناولها حسب اقتضائه المصلحة في ذلك الحين ولما نزلت هذه الآية امتنع من شربها بعض المسلمين واستمر على شربها البعض الى أن قرأ بعضهم في الصلاة وكان قد شرب (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) فقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم بين لنا في الخير بيانا شافياً فانزل الله تعالى آية (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وكانت هذه الآية محرمة للخمر ناسخة لما قبلها

يرى القارئ أن الله تعالى أباح لهم شرب الخمر في صدر الاسلام لئلا ينفروا من مناجاتهم بتحريم ما تعودوه دفعة واحدة فلما توطنوا على بعض الشعائر الاسلامية بغضهم الله فيها هو مضر فلما امتزج نور الاسلام بقلوبهم حرم الله عليهم ما يضرهم وفي ذلك من حسن المعاملة وبديع الصنع ما لا يخفى على أحد سوى من احرم نعمة العقل فهذه ما هدى واقتدى ما اقتدى وحكمة ابقاء التلاوة حيثئذ مع نسخ الاحكام الاعتبار بابدال الضار بالنافع فان الانسان اذا تلا الآيات المنسوخة أحكامها وتلا الآيات النسخة لها وأنعم النظر في كلا النوعين علم أن الآيات الاولى لم تكن صالحة الا في الزمن الاول الذي أنزلت فيه ولو بقيت معمولاً باحكامها لكانت شاقة فكان ذلك من أكبر البواعث على الاعتراف بان الله تعالى لا يأمر عباده الا بالنافع ولا ينهاهم الا عن الضار فيحمدونه على ما أولاهم من النعماء ويشكرون له ما أسدى اليهم من وافر الآلاء وايضاً حكمة ابقاء التلاوة لما نسخ حكمه حصول الثواب والتقرب الى الله به لان كلام الله كما يتلى لحفظ الاحكام لتيسر العمل به يتلى أيضاً لا كتساب

ذلك مكرهاً فضليات النساء على التطوح وراء المآرب الدينية لان النساء في الزمن الاول كنّ قادرات على الانتظار تلك المدة الطويلة فلما عيل صبرهن بكد الغداة ومر العشى اقتضى النظام العادل أن يخفف ذاك من الزمن الطويل الشاق الى هذه المدة القصيرة السهلة

وكمصابة الواحد عشرة في القتال في قوله تعالى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ذلك بانهم قوم لا يفقهون) نسخ خصوص حكمها بمصابة الواحد اثنين وهو قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وحكمة ذلك أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا قليلي العدد فاذا لم يتجددوا ويثبتوا ويصبر الواحد منهم عشرة طمع فيهم العدو فولوا أمامه مدبرين فلما تضاعف عددهم وقويت شوكتهم زال ذلك المانع تخفف الله عليهم ذلك وقد يكون حكمة هذا النوع تكثير الثواب وعظم الاجر وان كان حكم الناسخ أشق وأصعب من حكم المنسوخ لان المقصود من الاعمال إنما هو جنى ثمارها والثواب ثمرة العمل الصالح وذلك كآية (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمها أكبر من نفعها) أى يسألك الناس يا محمد عن حكم الخمر والميسر وهو القمار قل لهم في تعاطيها اثم كبير أى يحصل بسببها من الخفاصة والمشامة وقول الفحش وفيها منافع للناس باللذة والفرح في الخمر واصابة المال بلا تعب في الميسر وذنبها أعظم من نفعها لما ينشأ عنها من المفاسد وذلك أن الخمر كانت مباحة في أول الاسلام فأدرك بعض مضارها فريق من الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا ان الخمر

ألا يرى أن الدولة العثمانية أول حكم السلطان عبد الحميد المخلوع كان لها قوانيننا مناسبة لحالها ولما خطت في سبيل التقدم خطوات واسمات أثبت أن تقيم على ضيم لا يقيم عليه إلا الإذلال وكان من الواجب حينئذ على السلطان السابق أن يبادر بنسخ تلك الأحكام الصارمة بأخرى مناسبة لحال رعيته من التقدم

ولما لم يفعل وخالف سنة النظام وأبى إلا أن يبقى الخالة على ما هي عليه ولم يلاحظ تقدم الأمة في العصر الأخير كان جزاؤه أن ثارت في وجهه رعيته وأزله عن عرشه بعد أن كان إذا ذكر اسمه اهزت له جباه المعمورة وأما الثاني فكأية الرجم كما روى أن مما يتلى في كتاب الله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) ومعنى النسخ في مثلها انتهاء التكليف مثلاً بتلاوتها عند نسخها لأن القرآن الحميد أنزل على حسب أحوال المخاطبين وهذه الآية وإن كانت متضمنة ما فيه الإصلاح للعباد في جميع الأزمنة إلا أن أسلوبها وإن كان في أعلى طبقات البلاغة وخارجاً عن قدرة البشر لا تقرأ الله تعالى يعلم ما تقتضيه الأحوال كما وكيفاً لم يكن مناسباً لحال العرب الأقرباء عهداً بالسلام فلما شربوا من منهل أسلوب القرآن ورتعوا في ربوع المدنية الإسلامية ورقعت عواظهم فأجادوا في القول وأبدعوا نظماً ونثراً رفع الله من بينهم هذا الأسلوب مع كونه فوق قدرتهم ولا غرابة في ذلك فطالما قرأ الإنسان كلاماً لم يكن قادراً على ما هو دونه إلا بشق الأنفس ومع ذلك يميل إلى ما هو أحسن منه

وأيضاً لما اقتضت الحكمة الإلهية إبقاء بعض الآيات المنسوخة أحكامها لحصول الثواب بتلاوتها ولتكون عبرة لمن يفكر في حكمها وحكم الناسخ

فيميز بين المصلحة التي في الآية الناسخة وفي المصلحة التي تضمنتها الآية المنسوخة إلى أجل مسمى لو تجاوزته انقلبت منفسدة خفف الله على التالين برفع هذه الآية تلاوة مع بقاء حكمها

ولكون القرآن أنزل على حسب حال المخاطبين تكرر نزول بعض الآيات في موضوع واحد بأساليب مختلفة باختلاف أحوالهم أولاً وثانياً والعرب وإن كانوا كلهم فصحاء بلغاء إلا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة في ذلك فالتميمي ليس كالقرشي والجاهلي ليس كالخضرم والإسلامي والذي يطعم على شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما من المخضرين وجريز والفرزدق وغيرهما من الإسلاميين لا يجده إلا أحسن أسلوباً وأرق معنى من كلام امرئ القيس وعذرة وغيرهما من شعراء الجاهلية والذوق السليم شاهد عدل

وأما القسم الثالث وهو ما نسخ تلاوة وحكمها فالطاعن لم يتعرض له فلذا لا تتكلم عليه وإذا تقرر ذلك فلا وجه لاستبعاد أمر النبي بشيء ونهي عنه بعد ذلك وأمره بضده حيث ذلك لا بد منه لحصول المصلحة الإنسانية لأنه صلى الله عليه وسلم من أمته بمنزلة الطبيب للجسم لغير الأحكام الشرعية بامر الله تعالى التي هي للنفوس بمنزلة العقاقير والأغذية للأبدان فإن تغذية النفوس وأدويتها هي الأعمال الشرعية والأخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها فكما أن الشيء يكون دواء للبدن في وقت ثم قد يكون داء في وقت آخر كذلك الأحكام الشرعية قد تكون مصلحة في وقت ومنفسدة في وقت آخر لو بقيت وكما أن الطبيب قد يأمر المريض بالشربة ثم ينهيه عنها ويأمره بضدها كذلك الشارع مع قومه

وليعلم أن النسخ بجميع أقسامه لا منافاة بينه وبين قوله عز شأنه (لا تبديل لآيات الله) كجزم ذلك الراجح بالغيب لأن المعنى لا تبديل لآيات الله قبل انتهاء آجالها والأوقات التي ضربناها للعمل بها أولاً لا تبديل لآيات الله من أحد غيره كما قال تعالى (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لآياته) أي اقرأ يا محمد ما أوحى الله إليك من القرآن لا يقدر أحد أن يبدل كلماته غيره بل هو القادر وحده على التبديل والنسخ فيأمر بنسخ ما يشاء وإبقاء ما يشاء على حسب ما تقتضيه المصلحة هذا ما وفقنا للاهتمام إليه بشأن النسخ في القرآن ولعل فيه عبرة لقوم يفقهون ما

محمد قنديل الرحمانى

بالأزهر



الحياة في الشرق

وكيف يكتبونها في أوروبا

كتاب بيرلوتي عن نساء الاستانة — من هن السيدات اللاتي كتب عنهن روايته — المتكلمون عن الحياة في الشرق — مقدار جهلهم بحقائق تلك الحياة — كيف يروون كتاباتهم عبرة وموعظة

يذكر كثير من قراء اللغة الفرنسية كتاب الميسو بيرلوتي الذي ضمنه رواية يصف فيها حال سيدات الاستانة ومقدار تألمهن من الحجاب انتشر ذلك الكتاب في أوروبا واعتبره الجمهور هناك مصدراً لحالة المرأة الراقية في الاستانة ومتضمناً حقيقة ميالها واحساساتها وفهم قراء ذلك الكتاب أن النساء التركيات يميلون إلى الخروج من حجابهن واستنشاق نسيم الحرية التي يزعم البعض أنهن محرومات منها وأن السيدات الثلاث اللاتي جعلهن لوتي أبطال روايته يمثلن الطبقة الراقية من نساء الأتراك

ولقد قامت بسبب ذلك الكتاب أو تلك الرواية مناقشة بين كثير من الكتاب والباحثين في حالة المرأة الشرقية على وجه التعميم والتركية على الأخص واختلفوا في هل هو تصور حقيقة حالة المرأة التركية الحديثة وما تنزع إليه من التخلص من حجابها على ما هو معلوم عن ذلك الحجاب من جمعه بين الحشمة والكمال والحرية الصحيحة وأخيراً نشرت الفيجار ومقالة موقعا عليها من السيدة (خديجة زنور) التركية المسلمة دافعت فيها عن ذلك الكتاب وقررت أن السيدات الثلاث اللاتي كتب لوتي عنهن روايته هن سيدات

حقيقتا وأنها هي احدها وقد قرأنا تلك المقالة فعلمنا منها شيئا لم يكن يعلمه قراء كتاب بييرلوتي وهو أن تلك السيدات الثلاث لسن بتركيات صميات وإنما هن من أسرة فرنسية جدها شريف فرنسي معروف في فرنسا كما جاء في مقالة تلك السيدة

كتب لوتي كتابه متخذاً هاتيك السيدات الثلاث الفرنسيات الأصل مقالا للمرأة التركية . ولعمري أن الفرق بعيد بين حالة المرأة التركية التي نشأ أبؤها وأجدادها في تركيا وامتزجت العوائد الشرقية الإسلامية بدورها وبين السيدات اللاتي نشأن من عائلات افرنجية استوطنت الاستانة أو غيرها من المدن التركية جيلا أو جيلين من الزمان

فالمسيو بييرلوتي يصور حالة المرأة التركية الحقيقية وإنما صور حالة المرأة الافرنجية التي عاشت عيشة التركيات والتي لا تزال وان فقدت جنسيتها الأصلية واعتنقت الاسلام تصبو الى العادات الغربية وتميل الى حياة المرأة في الغرب . هذا ما استنتجناه مما كتبه السيدة (خديجة زنور) وهناك حقائق تضمنتها مقالاتها وهي أن كل الكتاب الذين يكتبون في أوروبا عن الشرق والحياة الشرقية ويتحلون لانفسهم أسماء تركية أو شرقية تروى بكتابتهم انما هم مدعون ملفقون كما أثبتته السيدة (خديجة) في مقالاتها فكل ما تنشره الصحف والمجلات الاوربية من هذا القبيل انما هو من بنات أفكار أفراد يلتصقون بالشرقيين ويتكلمون عن عاداتهم وأخلاقهم وحياتهم بالداخلية وهم لا يعرفون من كل ذلك أكثر مما يعرفه الكاتب الذي يجمل الحياة في الشرق جهلا تاما

وهذه الاعتبارات هي التي دعمتنا الي تعريب مقالة السيدة (خديجة

زنور) التي نشرتها جريدة الفيجار وليرى القراء كيف تكتب صحف أوروبا ومجذتها عن الشرق والشرقيين !!
قالت الكاتبة المذكورة .

« ليسمح لي القراء أن أقول كلمات عن كتاب بييرلوتي ادافع عنه باعتباري تركية صميعة ومسلمة حقيقيه ولذلك أود أن أعلن للقراء حقيقة حتى يدركوا الغرض الذي أرمى اليه من كتابتي عن رواية « الحزنيات »

أما اسمي فخديجة زنور ابنة المرحوم نوري بك وهو اسم معروف في الاستانة قدمت الى فرنسا منذ مدة طويلة فانتسبت الي لقب جدي السكونت دى شاتونيف الذي اعتنق الاسلام وتجنس بالجنسية العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز وسمى نفسه رشاد بك واني انا المسماة « زينب » في رواية بييرلوتي تلك الرواية التي لقيت نظر العالم الى مقدار ما نقاسيه من الآلام « وملك » هي أختي الصغيرة « وجنان » هي ابنة عمنا وكان اسمها الحقيقي « ليلى » المدفونة في مقبرة السلطان أيوب بالاستانة

لقد طعن الكثيرون على رواية لوتي ورموها بأنها ما هي الا من بنات خياله وان من الواجب علينا معشر النساء المسلمات اللاتي دافع عنهن لوتي في روايته وأعلن للعالم ما تتألم منه من حياتنا التي تشبه حياة السجينات : من الواجب علينا أن نؤيد لوتي في روايته وثبت للعالم أنه ما قال الا الصدق وما عبر الا عن الحقيقة

ان أقوى برهان على صدق هذه الرواية انها كتبت للدفاع عنا معشر الزوجات التركيات فلو أن ما كتبه لوتي دفاعا عنا كذب ومغالاة فما بال

أزواجنا قد تأخروا عن الرد عليه ؛ انه لم يقيم واحد منهم ليرد على بيرلوتي
فما الذي منعهم عن الرد عليه ؛

هل منعهم ما وجدوه من خلال أسطر الكتاب من أن المؤلف لم يكن
مقتنعا كل الاقتناع بحقيقة ما نشكو منه لانه كان في بعض صحائف كتابه
يخالفنا في آرائنا ويمارضنا في ميولنا ؛ أم منعهم من الرد عليه أن محبة لوتي
لتركيا والاسلام قد شفقت له في نظرهم تنديده بحياة الحجير التي تشكو منها
النساء التركيات ؛ أم حقيقة السبب أن رجالنا وأزواجنا قد أقنعهم ما كتبه
لوتي عنا وعن أحزاننا وتحققوا عدل مطالبنا نحن معشر السيدات التركيات ؛
نشرت احدى صحف باريس الكبرى في السنة الماضية مقالة لتركى
طعن فيها على بيرلوتي وقام الادلة على بعد ما كتبه في كتابه عن الحقيقة فلما
سألت عن ذلك التركى وبحث عن حقيقة وجدت أنه أرمنى من موظفي
الحكومة العثمانية السابقة ؛

وبعد قليل نشرت « المجلة المصورة » بحثا لسيدة فرنسية زعمت أنها
وقفت على دخائل الحياة النسوية في الشرق وعاشت نساء الاستانة كثيرا
فلما بحثت عنها وجدت أن تلك السيدة لم تذهب في حياتها مرة الى الاستانة ؛
وأنها انما تزوجت بمصرى وسكنت معه القاهرة فظنت أن الحياة في مصر
لا تقترب عن الحياة في الاستانة وخلطت بين الحياتين فككتبت ما كتبت
ظانة انها عارفة بحياة نساء الاستانة ؛ انها تكلمت في الحقيقة عن النساء
المصريات ولعمري ان الحرية التي تتمتع بها نساء القاهرة هي ما نطالب به
معشر النساء التركيات !! (هكذا تصور الكاتبة حالة السيدات التركيات
ومطالبهن فما أشبهها بأولئك الكتاب الذي كسفت عن أسرارهم) وبعد ذلك

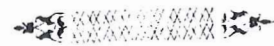
وضع أحد الروائيين رواية عن نساء الاتراك يقرر فيها أنه درس حالتهن حق
الدرس واستدل على ذلك بأنه وقف على حياة التونسيات .. وعرفها حق
المعرفة ؛ فكان مثل هذا الروائي الماهر مثل من يزعم أنه درس حياة النساء
الروسيات لانه عاش نساء اسبانيا وايطاليا !!

وفي الصيف الماضي نشرت مجلة المجلات الفرنسية مقالة بامضاء (صفر
بك) عن حياة النساء في تركيا فظن قراء مقالته أنهم يقرأون أفكار تركى
صميم يعرف من أحوال المرأة التركية مثلاً تعرف هي من نفسها . قرأت
مقالته فتوسمت من خلال أسطرها أن الكاتب أرمنى من سكان حي بير
بالاستانة وأخيرا ظهر أمره وعرفت انه ليس من البكوات ولا من الاتراك
ولا من المسلمين ولا يسمى صفراً وانما هو أرمنى غني اسمه الحقيقي غرغو
أفندي وقد اعترف هذا الكاتب في مقالته انه غادر بلاد الدولة منذ خمس
عشرة سنة ولم يرها كل هذه المدة وما أكثر ما تغيرت الاحوال وتبدلت
في هذه المدة الطويلة ؛

وأني الكاتب في مقالته من الغلطات المحسوسة عند تكلمه عن الاستانة
ما يثبت أنه ما خرج طول حياته من حي بير ومع ذلك قد أجترأ على التكلم
عن دخائل حياة المرأة التركية ونشرت كتابته مجلة من أكبر مجلات العالم
هذا بعض ما كتبه السيدة (خديجة زنور) في مقالها وهو الجزء
الذي أردنا تعريبه لأن يقف القراء على قيمة أولئك الكتاب الذين يكتبون
في مجلات أوروبا وصحفها عن الحياة في الشرق

فاذا كان أمثال أولئك الكتاب هم الذين يكتبون عنا في أوروبا فما أسهل
ما تروج الا كاذيب والمفتريات علينا وما أكثر ما تفيض به المؤلفات الافرنجية

من آراء وأفكار ليس عليها ظل من الصديق ! هذه مثلاً كاتبة المقالة التي عاشت في الاستانة زمناً طويلاً وأسلم وادها بعد أن تجنس بالجنسية العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز . لقد كان يجدر بها أن تكون أعلم من غيرها بمطالب نساء الاستانة وأن تعرف أنهن لا يفكرن ألبتة في أن يتمتعن بالحرية التي تتمتع بها نساء القاهرة . . . ذلك مبلغ ما يعرفه الافرنج عن الحياة في الشرق بفضل ما يكتبه عنا كتاب لا يعرفون من تلك الحياة شيئاً



مسألة المرأة المصرية

« حضرة الاستاذ المفكر الكبير فريد بك وجدى »

في كل أمة مسألة خطيرة تكتب بحروف عريضة في المجالات والجرائد اليومية هي مسألة المرأة . ففي أوروبا ذات المدنية العتيقة وفي أمريكا صاحبة الحضارة الحديثة والحرية المطلقة تنجلي هذه المسئلة بأشكال وحالات شتى يغم على الباحث الاجتماعى وجه الحل فيها فيكاد يعتقد أنها عضلة العقد ، والمعنى الذى لا يفك ما دام الوجود الانسانى قائماً

ونحن الذين أخذنا نتدفع وراء المدنية الاوربية بغير حساب بحكم قانون التقليد الذى هو بعض ما تمنى به الامم الضعيفة المغلوبة على أمرها حيال الامم القوية ، قد أصبح لدينا شئ يقال له مسألة المرأة أيضاً . ولكن شتان بين الدوافع التى تدفعنا الى الصياح والولولة والدوافع التى تدفع الغربيين لذلك . انهم هنالك يشكون عاقبة الاضاليل الاجتماعية التى سماها كتبهم قبل قرن من الزمان باسم تحرير المرأة . فتأدوا بها الى كس ما يطلبون لها واذا بلغ الشئ الى حده انعكس بضده

كانت المرأة فى أوروبا مستعبدة ليس لها شخصية ممتازة فكانت لا تراث ولا تملك ، وقد غرلى معها حتى حرم عليها الضحك واكل اللحم ووضعت على فيها الاقفال الحديدية وحكم عليها بأنها مجردة عن الروح الانسانية التى للرجل ، فقام أفراد يطلبون لها الحرية ، وحسناً طلبوا لو كانوا وقفوا بمطالبهم عند حدود الحكمة ولكن دفعهم الاهواء الى تيه التعسف فطلبوا للمرأة باسمها كل شئ حتى ما ينافى وظيفتها ويفسد خصائصها . طلبوا أن تستخدم في المعامل وأن تكون محامية وطبيبة ومهندسة

كان لهم ما طلبوا ، فإن الدعة الى الالهواء لا تجد في العالم الانساني حداً تقف عنده الا يوم يصبح بها صائح الفطرة فترتكس الى الضد ولن تجد لسنة الله تبديلاً

أصبح لاوريا وامريكا محاميات وطبيبات ومهندسات ، وخرجت المرأة من التقاليد العائلية ولكن لا تنس أن ترى ان بجانب كل مهندسة او طبيبة او محامية مائة الف من بنات جنسها وقعن في أسر الاعمال الشاقة تكبد أجسادهن الاعمال وتلفح وجوههن الذار

غضت المعامل بالنساء الضعيفات ، وشجنت بهن مخازن التجارات ، في مقابل أجور لا تبلغن البلغة من العيش . وهل في ذلك من عجب بعد أن انزلهن محبوهن (؟) الى ميدان الاعمال ، وقرنوهن بالرجال فكان الرجال أسبق منهن الى المغنم وأقدر على مزاوله المشاق

قال الفيلسوف الاقتصادي برودون في كتابه ابتكار النظام في تحليل سبق الرجل للمرأة في ميدان الاعمال ، قال :

« ان نسبة مجموعة قوى الرجل الى قوى المرأة تساوى ثلاثة الى اثنين فيكون التحرير الذى يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلاً شرعياً ان لم أقل تسجيل العبودية

وقال العلامة (اجروست كونت) مؤسس علم الاجتماع البشرى في كتابه (النظام السياسى) قال :

« انه لو نال النساء هذه المساواة (المادية) التي يتطلبها هن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضاهن فان ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الادبية لانهن في تلك الحالة سيكون خاضعات في أغلب الصنائع

لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهم القيام بها كما انه في الوقت نفسه تتكرر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة » انتهى

أحست الهيئة الاجتماعية في اوربا بفداحة المصائب فصاح العلماء يستغيثون ولكن بمن يصيحون ؟ ان لكل دور حداً هو بالغه ، ينتهى منه الى نهاية ثم يرتكس بذويه الى الضد ، عقاباً على التفريط ، وزجراً عن الاندفاع وراء الالهواء

من تلك الصيحات التي فتت اكباد الاحرار ما كتبه العلامة فورييه قال :

« ما هى حالة المرأة اليوم ؟ انها لا تعيش الا في الحرمان حتى في عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع أنحائه لغاية الاشتغالات التافهة بالخياطة وصنع الريش . أما المرأة فيراها الناس منكبة على أشق الاعمال في الخلاء » ومنها ما كتبه الاقتصادي الاشهر جول سيمون قال :

« النساء قد حزن الرآن نساكات وطباعات الخ وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها ولهذا فقد اكتسبن بعض درهيمات ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم عائلتهن تقويضاً » انتهى

يخ أهده هى غاية محرري المرأة ، يدعون أنهم يحصلون لها حقوقاً مساوية فيوقعونها في هذه المضائق الحيوية ؟

أيده من انتائج الحسنة للحركة الممجة بتحرير المرأة أن يصبح في اوربا أكثر من ثلاثين مليون تصهر أجسادهن نيران المصانع ، وتذبل زهرة جمالهن المزاحمات ؟

بالتزين والتبرج فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدينتنا الحالية
(تأمل) ويهددها بسقوط سريع جداً وان شئت فقل بانحطاط لا دواء
له « انتهى

هذه أقوال أصحاب اندار ولكن أنى لها أن تصل الى الواقفين مع
الظواهر وخصوصاً هذه الظواهر القتاتة ؟

يخيل لمن يكتب في المواضيع الاجتماعية عن شعوره الذاتي بدون علم
ان جميع المسائل تابعة للقانون المنطقي والاستحسان الشخصي ، فمتى رأى رأياً
وقدره بنظره تقديرًا ما لم يجد أمامه بعد ذلك أدنى صعوبة في جعله مبدأ له
يصح أن يدلى به الى الناس كأصل من أصول الحياة ، فما المانع بعد ذلك في
رأى الكاتب من أن يأخذ به الناس وأن يعملوا به مندفعين ؟

هكذا يخيل لمن يكتب في المسائل الاجتماعية عن شعوره الخاص بلا
علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولو حقق النظر واخترق غلف المظاهر
الحبيطة به ، واستعرض أمام عينه حالات الاجتماع بعواملها المتراكبة وبواعثها
المتشعبة ، ونظر للميثة الاجتماعية وهي في حالة تدافع وتفاعل لهاله ما يرى
ولو وقف حيث هو يتطلب من الله بصراً ناقدًا يهديه الى العلل الاولى للاشياء
، والى العوامل المهيثة للاهوال

قلنا ان للمرأة مسألة حية في كل أمة فهي في أوروبا وأمريكا كما أثبتنا
هنا عبارة عن شكوى الرجال من افراطهم في التبرج وتخوفهم من انحلال
هيئاتهم الاجتماعية بما يستتبع ذلك من الاعراض ، ولم أعرض فيما كتبت
على ما يجأرون منه من فساد الاخلاق وشيوع الخزيات ، ولكن لهذه
المسألة في بلادنا موضوع آخر ، وهو شكوى الرجال من انحطاط النساء في

ليست هذه الصيحات هي التي تفتن الشرقيين فهم بمعزل عنها بل هي
تلك الاسراب النسائية من بنات الغرب يروهن غاديات رأتحات بين الجزيرة
والاهرام على حال يوم الناظر السطحي أنهن بلغن غاية غايات المدنية ، وان
رجالهن قد حصلوا بهن على أقصى نهيات الراحة العائلية

لذلك الناظر أن يظن ذلك فليس هو باول سار غره قر ، وليكتمه في نفسه
او ليسأل عنه خبيراً ، أما جملة نتائج هذه المشاهدات السطحية مبادئ ، ثم
النهوض لنشرها بين الناس فلا نسلم له فيه

ان هذا انظر القاتن الذي يؤثر على مشاعر بعض شبانا في امر النساء
ويضرم في نفوسهم نار الغيرة لا بلاغ نسائنا هذه الدرجة الراقية في أعينهم
يكفيها لاجل أن نريهم مبلغ خطأهم في النظر للاشياء أن نبرهن لهم انه مثار
البلاء على أهله ، ومنبعث الانحلال على مدينتهم

جاء في دائرة معارف لاروس بعد ذكرها أن خراب مدينة روما انما
جاء من انطلاق النساء مع الاهواء قالت :

وفي هيأتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء تتمتع بحرية مفرطة
نرى أن دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذي يحملهن دائماً الى الاشتغال
بجمالهن وبكل ما يزيد حسنهن ، كل ذلك أكثر خطراً وهو لا مما كانت عليه
الحالة في روما «

« نعم لسنا أول من لاحظ هذا الاثر السيئ الذي يحدثه حب النساء
للزينة يوماً فيوماً على اخلاقنا (تأمل) فان أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال
بهذا الموضوع الكبير وكثير من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام
قد وصفت بطريقة مؤثرة الخراب الذي يجره على العائلات الشغف الجنوني

المعارف ووقوعهن بذلك في الاسر والاستعباد ، وما يستتبع ذلك من قلة
اقبال الشبان على الزواج لقلة الاكتفاء منهن ، ويلقى بعض الكاتبين تبعه ذلك
كاه على الحجاب

فالحجاب في اعتقادهم صاد للمرأة عن العلم ، مسقط لها تحت كلا كل
الرق ، منسد لاخلقها الكريمة ، مانع من رؤية الخاطب خطيئته ومعاشرته
لها قبل الزواج ، فهو مجتمع الارزاء ، ومشار كل بلاء !

ولو زال الحجاب في يقيهم أصبحت المرأة عالمة بما لها وما عليها حاصلة
على تمام حريتها بازاء الرجل ، أدبية مهذبة مترهفة عن الاهواء ، وفوق ذلك
تصبح عرضة للخطاب فيتهافت عليها الشبان ويستطيعون أن يعاشروها قبل
الزواج فيقتربن بها من يهواها عن بيئة واختبار فيعيش معها عيشة السعداء
(كما يعيش الاوربي مع امرأته) خالي البال من النقصات ، فارغ الصدر
من المسكدرات ، فيندم الطلاق أو يقل (كما هو في اوربا) ثم يكون
من أثر هذا الانتقال البديع اقبال الشبان على الزواج ورواج سوق المصاهرات
فلا يعود الشرق يشكو من انتشار مبدا العزوبة (كما لا يشكو منه الغرب
الآن)

هكذا يقولون

أكل هذه المسائل الخطيرة سببها هذا الحجاب الشفاف الذي يشبه كما
قالت جريدة لا بورص اللثام الذي يضعه الآن الاوربيات المغاليات في حب
الظهور باقصى شكل من الجمال ،

ما الذي يمنع أن يكون الحجاب في نظر باحثنا الشرق علة كل هذه
الارزاء وهو لم من علة سواه ؟

لا شك عندنا في أن هذا النظر الموعج من بعض الكتاب ، وهذه
الخفة المتساهية في تقدير المسائل الاجتماعية ، سيكون لها نتائج وخيمة جداً
على مجموعنا الاسلامي ان لم يسرع أهل الذكر بالوقوف امام تيارها ، وان
هذه المسائل الخطيرة ما دامت متروكة لاقلام السطحيين من الكتاب فلا
ينتظر منها الا أسوأ العواقب على العفاف والاعراض

وانى أعرف ان أكثر الذين يلجون هذا الباب من الشبان الذين
ليس لهم زوجات ، وان ليس المقصود بهذه الحركة المشؤمى خلع النساء
للحجاب فقط بل المقصود منها أمر وراء ذلك ، وهو تسهيل سبيل مخالطة
النساء للرجال ، ولا ندرى ما الذي رآه غيرنا من الخير من وراء هذه المخالطة
حتى تخف لتقليدكم فيها بدون نقد ولا تدبر ولا استبصار

يقولون ان الحجاب يصد المرأة عن التعلم وهو ادعاء يكذبه الغيان
فان المرأة لا تنتقب الا في الطرقات وليست الطرقات بمجامع للعلماء ولكنها
مضطرب النساق ومزدحم الغوغاء

وهذه مدارس البنات يوجد فيها كثير من المحجبات يذهبن الى المدرسة
بالتنقاب فاذا وصلن اليها خلعهن وتلقين دروسهن سافرات فاذا أتممن النهار
رجعن الى دورهن محتجبات . فهل في هذا من زاب للعلم ، أو فيه للجهل أقل
سبب من الاسباب

يقولون ان الحجاب يفسد الاخلاق وهو ادعاء أدخل في الخطأ مما
سبقه فان الحجاب ان لم يمنع الفساد بتاتاً فهو من اكبر موانعه لمن ينظر الامور
بعقل وانصاف ،

هل يجهل المعادون للحجاب أن اكبر الفساد لا يتأتى الا من اختلاط

الرجال بالنساء ان جهلوا ذلك او تجاهلوه تركناهم وشأنهم فليس علينا الا البيان وما علينا أن يرضى المتعنتون من خفاف الاقلام

يقولون الحجاب يسبب كثرة الطلاق لعدم تمكن الخاطب من رؤية خطيبته بسببه ، وهو قول من لم يبحث عن حقيقة الاسباب . ولو كلف هؤلاء الباحثون أنفسهم لوجدوا ان تسعمائة وتسعة وتسعين حالة من أحوال الطلاق سببها الشقاق العائلي الذي يسببه في أكثر الاحوال الرجال بسوء سيرتهم نحو نساءهم ولتطلعهم الى سواهن ممن قابلوهم في الاسواق ، ولا نطن أن في كل الف أكثر من حالة واحدة يطلق الرجل امرأته لعدم الاستحسان

يقولون ان الحجاب هو سبب كل هذا الطلاق لان الرجل بعدم امكان معاشره المرأة قبل زواجها يجهل أخلاقها تمام الجهل فاذا اقترن بها وجدها على ما لا يرام فيطلقها . وهذا قول بعيد عن الصواب لان الانسان لا تظهر اخلاقه بمجرد التنزه في الخلوات والجلوس على القهوات خصوصاً اذ وراء ذلك الزواج فيسهله على كل من الزوج والزوجة أن يتعصبا الكمال ، ويتكلفا محاسن الخصال ليتم المرام . ولو كان هذا النظر صادقا لبطل الطلاق عند الاوربيين والامريكيين وهو لديهم أخذ في الازدياد ، فلو كان هؤلاء المعارضون للحجاب ممن يذاعون الكتب الاجتماعية ويستأنسون بالحوادث الوجودية لخلجوا أن ينسبوا للحجاب هذه العلة الوهمية

كتب الكاتب الأمريكي الشهير (لوسن) في المجلد الخامس والعشرين من مجلة المجالات الفرنسية احصاء عن الطلاق في أمريكا بلد حرية النساء المعلقة بناء على طلب المجلة نقطف منه ما يأتي قال

سجلات المحاكم في مملكة (مساسوزيت) من ولايات الممالك المتحدة (١٦٢٢) ورقة طلاق سنة ١٨٩٤ بعد ان كانت في سنة قبلها (٧٧٠) فقط اي انه أخذ في الازدياد بسرعة مذهشة

أما في مملكة (اهيو) من الممالك المتحدة فقد سجلت المحاكم سنة (١٨٦٥) (٢٢١٩٨) زواجا حدث فيها (٨٣٧) طلاقاً يعني انه يخص كل (٢٦ ونصف) زواجا طلاقاً واحدة . وأما في سنة (١٨٩٤) أي بعد مضي ٣٥ سنة فسجلت المحاكم (٣٣٨٥٨) زواجا وبلغ الطلاق (٢٧٥٣) اي ان في كل (١٢) زواجا ونصف طلاقاً واحدة

وقد شوهد ان عدد الطلاق فيها في مدة عشر سنين بلغ زيادة عن معدله بمقدار (١١٠٠٠) ونقص الزواج عن معدله بمقدار (٨٤٨٨٩) وفي كاليفورنيا من الممالك المتحدة حصل في النى زواج في سنة ١٨٩٧ (٦٤١) طلاقاً أي في كل ثلاث عقود طلاقاً واحدة

قال الكاتب عقب هذا الاحصاء بالحرف الواحد :

« فالطلاق ينتشر اذن للدرجة القصوى والمدهش أن (٨٠) في المائة من طلبات الطلاق آتية من جهة النساء مما يثبت أن ليس للرجل الا دور ضعيف في حل عروة الزواج وذلك لان الطلاق يخجله جداً ولذلك تراه اذا تعب من امرأته يبحث عن سواها (تأمل) ولا يسمى في انفصاله من الاولى الا اذا طالبتة الثانية بالزواج » انتهى

ثم وصف هذا الكاتب سهولة الطلاق هناك فقال :

وكثير من الأزواج لا يعرفون أن نساءهم طلقهم الا بعد ان يتزوجن ثانياً

ثم ذكر الكتاب السبب الذي يحمل النساء في طاب تطليق الرجال فقال
« عند افتتاح المحكمة العليا في السنة الماضية اي سنة (١٨٩٧) في مدينة
(بوستون) مئلت المحكمة ثلاثة ايام متوالية بالناس رجالا ونساء وكلهم
يطلب الطلاق فامضى في الاسبوع الأول (٧٥) طلاقاً وكان السبب على
العدوم في طلبة هو هجر الرجال لنسائهم »

ثم عقت المجلة تحت هذا الاحصاء بقولها :

« الرابطة الاجتماعية آخذة اذن في الاحتراق ولكن ليس من طرفها
فقط بل قد سمعوا في اشتغالها من وسطها ايضا . ولا شك عندنا ان المرأة
الجديدة هي التي تسعى في هدم العائلة » انتهى

تقول ماذا يقول اضداد الحجاب في هذه الاحصاءات فهل كثرة
الطلاق في امريكا هي من رزايا الحجاب والمرأة الامريكية اكثر نساء العالم
حرية وانطلاقاً من القيود

اللهم ان هؤلاء الكتاب يكتبون بلا علم ، ويتفلسفون بلا اطلاع ،
وان بعض الجرائد تنشر مقالاتهم بلا نقد ولا تمحيص .. فاهد اللهم القارئ
لان يدركوا هذا الضعف فيهم فلا يرفعون بما يكتبون رأساً ولا أضلوا
عبادك انك بالموثمين رحيم

يقول هؤلاء الكتاب ان العزوبة تنتشر في مصر ولا سبب لها الا
اضراب الشبان عن الزواج مخافة الاقدام على ما يجهلون

والحقيقة ان الشبان في مصر يتأخرون عن الزواج ليتسع لهم الوقت
لاصطياد فريسة واكتساب مغنم ، فليس لاكثرهم من هم الا التزوج بالمثرات
فترى أحدهم لا يزال يتحرى مواقع الثروة غير مفكر في كمال ولا جمال حتى

يمثر بمطلوبه فيعمل كل ما في وسعه للتزوج بها وهي تأبى أن ترضاه لطمعها
فن هو أغنى منها فحدث ما نراه من قلة الاقبال على الزواج

وهناك سبب آخر ساعد كثيرا على انتشار مبدا العزوبة وهو شيوع
الفحشاء في البلاد وسهولة اتیانها سرا وعلانية

وهذا المبدأ بجميع علله ومعلولاته احدى هدايا المدنية الأوروبية التي
تفجتها معها علومها وآدابها ، وليس سببه هذا الحجاب الشفاف كما يذهب
اليه المفتونون بيدع الحياة الفرية المادية

كتب العمراني الخطير (جيوم فريرو) في مجلد سنة (١٨٩٥) من مجلات
المجلات الفرنسية ما يأتي :

« ان العلامات المنذرة بقرب حلول الازمة النهائية لهذا الشكل من
المدنية الذي نعيش فيه كثيرة جدا (تأمل) بحيث لا يمر يوم حتى يقف الباحث
على انذارات جديدة فيه . فلنمط نحن أيضا أنفسنا وظيفه الطبيب ولنساعد
في مساعدة ما شغصه الاطباء من هذا المارض الاجتماعى في زماننا هذا بدرس
هذا الشكل الجديد من الرهينة التي هي مع عدم استنادها على دين تهددنا
بانها ستحل الى الحد الذي وصلت اليه الرهينة الدينية في زمن من أزمنة
القرون الوسطى .

« يعلم الرجال والنساء بالتجربة وفي كل بلد تلقى العقبات التي تحول
دون الزواج تزداد يوما بعد يوم وأن هناك أسبابا لا عداد لها اقتصادية على
الخصوص تقف في طريقه حتى أن كثيرا من الناس لما يؤمن امكان تذليلها
ضربوا على العزوبة بكل وسعهم . ومن السهل علينا أن نقول ان عددا عديدا

مدركاتنا التي ورثناها على الزواج . ثم قالت : ان رفض الناس للزواج ومحبتهم للطلاق وهما الامر ان اللذان ينتشران يوما فيوما في أمريكا وفي كل الممالك الاوربية ثم كل هذه الاعتصابات النسائية تشعر بمرض يجب أن يتنبه له المشرعون » انتهى

ماذا يقول اضداد الحجاب بعد هذا البيان ؟ ومتى يشعرون بان الكلام في المسائل الاجتماعية لا يصح أن يكون بغير عرق راسخ في النظر ، وبلا هدى من احوال البشر ؟

نسبوا للحجاب اضراب الفتیان عن الزواج في مصر وهذا الاضراب في الحقيقة عرض من أعراض هذه المدنية الاوربية فعزوا المملولات لغير عليها الحقيقية واستهتروا في ذلك استهتارا فقدوا معه أدب الكاتب وأدب الاجتماع معا ، حتي اجبروا بمبدئهم من حيث يريدون تأييده واذاعته

ان هؤلاء اغرقوا فيما هم فيه حتى غروا لتكشف النساء كل آثار التعليم والتربية والآداب الصحيحة وغاب عنهم ان فلاحات مصر وبدويات الصحارى وزنجيات أفريقيا منكشفات وهن مع ذلك محرمات من كل ثمرات الحياة الصالحة وراسفات في أثقل قيود الاسر والعبودية لرجالهن ، فلماذا لم يؤثر تكشفهن على حالتهن الاجتماعية فتخفف من وطأة النوازل عليهن ؟

ان الاختلاط بين النساء والرجال اذا كان له أثر على حالة النساء فلا يكون الا في تدنيس قلوبهن ، وافساد فطرهن ، وتسهيل سبيل الفسق والفجور على الاراذل من الرجال ومنهن

يقول قاسم بك أمين رحمه الله أنه يجب علينا أن نكشف نساءنا ولو أدى ذلك الى دخولهن في جميع الادوار التي دخات فيها المرأة الأوربية ، يريد

من اشخاص من كلا الجنسين يجب أن يحدثوا آثارا هائلة على كيان الهيئة الاجتماعية كلها . وذلك بمعيشتهم بلا زواج اعني في شروط حيوية صناعية ويجب ان الآثار التي تنتج من النساء العازبات تكون أكبر من التي تنتج من آثار الرجال العازبين . فان عزوبة الرجل تكسبه في الواقع ونفس الامر صفات نفسية خاصة به ولكنها لا تقلب كيان شخصيته تماما لانها لا تستلزم عنده العفة مطلقا ويمكنها أن تجبره على المعيشة بين بنات الهوى أو ترغمه على السفاد . وعلى هذا فالعزوبة لا تثقل فيه تلك الوظيفة النزويولوجية دفعة واحدة . واما المرأة فبخلاف ذلك فان الشروط الاجتماعية الحالية تستدعي عنفها في عزوبتها والعفاف يقتضي حذف وظيفة الامومة وهي الوظيفة التي خلقت المرأة لاجلها جسدا وروحا . لاشك اذن في ان هذه الحالة يجب ان تفسد شخصيتها افسادا ذريعا ولاشك أيضا ان عددا كبيرا من هذه النسوة يحدثن آثارا هائلة على الهيئة الاجتماعية »

ثم قال :

« وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الامر المنافي للنسنيين الطبيعية فان هاته النسوة بمزاجتهن للرجال صار بعضهن عالة على الهيئة الاجتماعية لا يجدن ما يشتغلن به ، ولو دام الحال على هذا المنوال لنشأ عنه خلل اجتماعي عظيم » انتهى

وقالت مجلة المجلات الفرنسية في المجلد الثامن عشر في فصل على المرأة : « ان الزواج الذي كان آباؤنا يعتبرونه ضروريا يظهر أنه قد صدم صدمة شديدة في كل جهة فان الرق العقلي الذي نالته المرأة وامتداد حقوقها يوما بعد يوم وغرامها الشديد بمساواة الرجل في حقوقه وافرطاته كل ذلك يهدد

بذلك ولو أصبح الحال في العالم الاسلامي كما هو في العالم الاوربي من شيوع الزنا، ورواج سوق التسق والغرام، وانتشار العزوبة الى الحد الذي بلغت اليه أوروبا وهو كلام لا نفهمه وليس هو من الحكمة في شيء. فقد كان يصح ما يقول اذا كانت المرأة الاوربية، خرجت من كل هذه الادوار راقية شريفة، اما وهي لا تزال تنخبط في تلك الادوار، ويجار غلاسة بلادها الى الله من فداحة مصابها ومصاب الرجال، ويعتبرون ذلك علة أصلية لتلاشي مدنييتهم، وتقوض دولتهم، فلا يصح في عقل عاقل أن ينصح ناصح قومه بأن يدفعوا نساءهم في هذا السبيل المحفوف بالمكاره الذي هو الى الشر أقرب منه الى الخير

فإما أن نصبر على ما نحن عليه حتى يتبين لنا ما وراء كل هذه المقاذرات التي تخوضها المرأة الغربية، واما أن نعمل عمولنا فنذكر أن أحسن السبل هو ان نقوي في مجتمعاتنا مبدأ عدم الاختلاط حتى لا نقع فيما وقع فيه سوانا من الارزاء

مساكين الكتاب السطحيون، ينظرون الا السراب فيحسبون به ماء فيملأون الدنيا صياحا بالدعوة الى وروده، ولو تبعهم الناس لما تأدوا الى شيء بل لتأدوا الى أخلاط يضل فيها الحجي، ويتوه فيها الصواب، ولا يكون من ورأها الا الهلاك

يقولون بالاختلاط يتمكن الخاطب من رؤية خطيئة ومعاشرتها ليعجم عودها، ويخبر خبيثها، فما أعجب هذه الآراء، وما أبعداها عن التعقل ان نتيجة هذه المعاشرة في أوروبا قد سببت من التماسد الاجتماعية ما لو أردنا احصاء بعضه للزمن كتاب خاص

منها خدع الفساق من الرجال للنساء فتري أحدهم يتصدى لشابة فيوهما أنه يريد أن يتزوج بها ويظهر لها من اللطف والحب ما يخلب لها، فاذا آنس أنه تمكن من قلبها عاشرها معاشرة الزوج لزوجته قتلته منه ولدا واثنين وثلاثة ثم يهجرها بأولادها هجرا غير جميل فلا تجد المرأة المسكينه بعد هذه النكبة وسيلة أسهل من الانتحار فاما أن تقتل أولادها بيدها أو تدعهم للملاجئ الايتام وترسل بنفسها الى عالم الارواح أنظر الى ما تقوله الاحصآت !

جاء في المجلد الحادي عشر من مجلة المجلات الفرنسيه نقلا عن الاحصآت الرسمية أنه حصل في ايطاليا من سنة (١٨٨٩) الى سنة (١٨٩٣) أي في مدة خمس سنين (٥٦٩) انتحارا من جهة النساء، وحصل في فرنسا في تلك المدة عينيها (٥٨٦٩) حادثة أي ان فرنسا ينتحر فيها في كل سنة نحو (٢٠٠٠) امرأة وهو عدد ليس بالقليل لمن يتأمل فيه ولو كانت هذه المعاشرة قبل الزواج تكفي لدوام الارتباط العائلي أو لتقليل الطلاق لكان الطلاق بأوروبا نادرا وقد رأيت أنه أخذ في الانتشار بسرعة مدهشة

وهناك أمر جدير بالنظر وذلك أن النخوة الادبية في أوروبا أرقى منها في مصر، فاذا كان يسهل على جمهور من المصريين أن يروا باعيتهم مداعة تحدث بين فاسق وفاسقة على قارعة الطريق فلا يفعلون، فان مثل هذه المخازي في انجلترا وفرنسا مثالا مما لا يتصور حدوثه على مرآي المارين والجالسين ولا البوليس الموكل بحفظ الآداب. فاذا شاع عندنا الاختلاط

صناعه التاليف

وتعليم الامت بطريق القصص

وطنية الرجل والمرأة

(١) المؤلفون والقراء

ان الكتب والرسائل التي تنشر في العام الواحد في فرنسا تنكاد لكثرتها لا تحصى . وتشعب موضوعاتها يدهش أهل الشرق . ومع هذا وذاك فان كل كاتب يجد له قراء يقبلون على تصانيفه . وكل مؤلف له سلطة على جمهور من الناس يقتنعهم بأرائه ويرشدتهم بما يكتب ولا أبالغ اذا قلت انه يحركهم كيفما يريد . لانه ليس هناك رابطة أقوى من الرابطة التي توجد بها المطالعة بين القارئ اللبيب والكاتب المحييد لذلك تعنى العامة والخاصة في هذه البلاد بكل ما يكتب ويقال عن أكابر الكتاب واذا سألت أيا أردت عن مؤلف معروف قص عليك لساعته أحوال هذا المؤلف الخارجية والداخلية كأنه من أسرته أو من أقرب المقربين اليه

من الحوادث الاخيرة التي تؤيد ما ذكرت ما حدث في فرنسا منذ عام وهو ان فتاة من بنات الاشراف طالعت قصة وضعها المؤلف الفونس دوديه وصف فيها الحياة الدينية وتأثيرها في الاخلاق والنفس فما جاءت البنات على آخر الكتاب حتى عقدت النية على أن تهجر الهيئة الاجتماعية وتترك دار أبيها الجنرال ياسي وتلجأ الى دير تعيش فيه عيشة الراهبات الرضية بعيدة عن متاع

بين الرجال والنساء غلبت مبادئ الفساق على تصون الفضلاء ، وأسبجت بلادنا مراسيح يمثل فيها الفجور عيانا

ان المصريين تسامحوا قليلا في أمر الحجاب فنشأ لديهم من أنواع الخنا ما لا يغيب عن ذهن القراء ، فما من بيت في مصر الآن الا ويجاوره او يحاذيه بيت عامر بالخلاعة مقعر من الكرامة فيرى الراؤن الحال ولا يزيدون عن الحوقلة والاسترجاع ، وهي من صفات العاجزين ان لم تصحب بالنخوة الحافظة لكرامة الجوار

هذا اللين المنتهى عيب من عيوبنا المعبودة ولا سبيل لشفائها منه الا بعد أجيال ، فاذا اختلط النساء بالرجال ونحن متلبسون بهذه النقيصة زاد الطين بلة وقضينا بايدينا على البقية الباقية من الآداب

أنا لست ممن يذهب الى أن المرأة أميل من الرجال الى الفسوق ، بل أنا ممن يعتقد أنها أقرب للطهر والكمال وأكثر تمسكا بأذيال العفاف من الرجل ، وأعتقد من جهة أن الحجاب فيه شيء من الجبس لحريتها ، ولكن ما الحيلة اذا كان هو الضمان الوحيد لعدم الاختلاط الذي وراءه كل هذه الآفات . وكم في الحياة من قيود واغلال نضعها في أرجلنا مضطرين اذا كانت الحياة تقتضيها أو كان وراءها الخلاص من بلاء مبین

اظنني قد أزلت شبهة اضداد الحجاب بهذه العجالة ان كان فيما يكتبون ما يصح أن يسمى شبهة ، وان عادوا دنا والله من ورائهم محيط



الحياة الدنيا وضوضائها . وقد مانع أهلها في ذلك فقرت الى الدير تحت جناح
الظلام فخطفوها منه ففاضتهم وحكمت المحكمة لها لانها بالغة رشدها ويمكنها
أن تفعل بذاتها ما تريد

وهذه الحادثة ليست فريدة في بابها فان أمثالها كثير والواقفون على
تاريخ آداب اللغة الفرنسية يعرفون تأثير كتاب « انديانا » الذي وضعه
جورج ساند في جمهور القارئ والقارئات

وهذه النتيجة التي شرحتها طيعة محضة وان كان البعض يستهين بها.
ان الكتاب الذي يضعه مؤلف ليس في الواقع مجرد قصة أو رواية انما هو
مجموعة أفكار تجول في صدر مخلوق أقوى وأذكي وأكثر استعداداً من
كثيرين من بني جنسه والدليل على ذلك تميز الطبيعة له بمواهب ضنت بها
على سواه كقوة التأثير أو بلاغة القلم ثم ان هؤلاء الاشخاص الاقوياء لا
يكتفون بتقييد ما يخطر ببالهم بل هم يدوقون حلو الحياة ومرها فهم بذلك
يضيفون الى ثمرات أفكارهم تجارب الحياة وخبرتها. فالقارئ لا يقرأ أسطراً
منمقة أو عبارات مزوقة مما لا يكون له في أغلب الأحيان تأثير على الاطلاق:
انما هو يقرأ عقل انسان مثله ويظالم عواطفه محملة ومفرغة في قالب الالفاظ
والكلمات

(٢) واجبات المؤلف

لاجل هذا كان واجب المؤلف نحو قرائه من أعظم الواجبات . ان
القانون لا يقيّد حرية التأليف الا فيما يمس سياج الآداب العامة ولكن .
قانون الانسانية يقيّد المؤلف بقيود قوية شديدة . لان الآلاف المؤلفات التي
تقضى ساعاتها البعيدة في المطالعة تكون قوة بشرية ضعيفة الارادة في أغلب

الاحيان: على الكاتب وحده واجب تحويل هذه القوة نحو الخير. عليه وحده فرض
مقدس يوحى اليه ارشاد هذه الفئة التي سلمته قيادها لتسليحها معنوي الى سواء السبيل
ان الهيئة الاجتماعية تطالب المؤلف ومطالبة أدبية لانه مسئول أمامها.
تطالبه بان لا يحرك بنانه الا بالحق وأن يتنفع بالحرية الادبية ما استطاع الا
حيث تؤدي به تلك الحرية الى ايداء قوم بسطاء لا يعرفون ما يعرف هو
ولا يشعرون بما به يشعر ولم يدوقوا ما ذاق

الهيئة الاجتماعية تطالبه بان يشبع هذا الجمهور الجائع النهم شريطة أن
يكون الغذاء النفسي صحياً نافعاً لا جالباً للأمراض والسقام. لان أمراض النفس
أشد وطأة من أدواء الاجسام . ان الهيئة الاجتماعية تطالب الكاتب بان يطبع
في الجمهور الذي يشبه الطفل الصغير أسمى العواطف وأرقها ليقوى على
دنيا الحياة وليتغلب بقوته الادبية على السفاسف التي تطرأ على كل انسان في
كل لحظة وفي كل مكان

هذه الواجبات معروفة في فرنسا ومعمول بها الاتليلا . وقد اخترت
في هذه الرسالة أن أستشهد بكتابين وضعهما مؤلفان مشهوران خدما بهما
وطبعا خدمة تجدد ذكرهما مدي الزمان

(٣) رنيه بازان وكتابه « ليزوبريه »

رنيه بازان من اكابر أعضاء المجمع الادبي ومن قادة الافكار في فرنسا
وقد اشتهر بمؤلفاته الجليلة التي يرمي في معظمها الى حل معضلات الحياة
الاجتماعية في فرنسا . ومن أشهر تلك المؤلفات كتاب (ليزوبريه) وهو
وصف حياة أسرة فرنسية كانت تعيش في سترزبرج عاصمة مقاطعة الازراس

واللورين التي استولت عليها المانيا واغتصبتها من فرنسا اغتصاباً بعد حرب
السبعين ورب هذه الاسرة شيخ جليل له ولد وبنت فطرهما من نشأتهما على
حب وطنهما القديم فرنسا وبعض وطنهما الاجباري الجديد المانيا فلما نشأ
الولد وصار شاباً كان قد فرغ من دراسته وأخذ يشتغل باحدى الصناعات
الحرة الى أن حل موعد اقتراعه في الجندية ليقضى مدة معينة في خدمة الجيش
الالمانى الذى أصبح تابعاً له . فنظر الشاب الى تلك المعضلة الجديدة ورأى
ان رضاه بالانخراط فى سلك الجيش الالمانى يجمله فى كل آن معرضاً لمحاربة
فرنسا اذا اشتعلت بينها وبين المانيا نار الوغى . وانه حينئذ لن يكون له مفر
فان فر من الجيش يعد وغداً جباناً خائناً لوطنه ناقضاً للعهد العسكرية الشريفة
وانه كذلك لا يرضى مطلقاً أن يرضى الذى قهر أبناء وطنه العزيز وسلب من
فرنسا درة فى تاجها . فخال فى رأسه فكرة الفرار قبل الاقتراع . ولكن
كيف يفر ويترك والده الشيخ وأمه الحنون وأخته البتول ؟

كيف يفر وقد بدأ يشتهر بذكائه وفطنته وبدأ يكون لنفسه بنجده وهمة
مركزاً سامياً ؟ ان شقاءه معقود بفرارده لانه يصبح بين طرفتين واتباعتهما
طريداً شريداً لا وطن له ولا أهل ولا أسرة . يصبح خالاً فى المدن
الاجنبية بعيداً عن أحبابه وأصحابه بعيداً عن وطنه الذى ولد فيه ونشأ فوق
أرضه وربى وترعرع تحت سمائه . واذا قصد فرنسا فانه لا ول أمره سيكون
غريباً فى بلاده مجهولاً بين القوم الذين يعشقهم والذين بذل كل مرتخص
وغال فى سبيل ذكراهم العزيزة

وأخيراً يستشير الشاب أباه وأمه وأخته فى أمره ويشرح لهم مايجول
فى فؤاده من العواطف المتضاربة فيقر قرار تلك الاسرة الكريمة على

تشجيع وحيدهم العزيز على الفرار فراراً من العار الذى يلحقهم ويلحقه بخدمة
الجيش الالمانى . ويودع الشاب أهله توديعاً مؤلماً وكلهم وان كانوا يذرفون
الدموع سعداء مستبشرين لان ما سيلقيه الشاب فى الاغتراب من المصائب
وما يلقاه الاهل من ألم البعد هو فى سبيل الوطنية والوطن

(٤) كتاب « كوليت بودوش » تأليف موريس باريس

ومن الكتاب الذين اختطروا هذه الخطة الشريفة فى مؤلفاتهم الاستاذ

« باريس » العضو فى مجلس النواب الفرنسى وفى الجمع الادبى

بداً مؤلفاته بتاريخ « حياة الانسان الحر » ذكر فيه عواطف الوطنية

ووصفها بأبلغ وصف وشرح مبادئ الحرية التى لا يعيش بدونها الانسان الا

معذباً . وقد ظهر له فى عالم المطبوعات منذ أسبوع كتاب جديد اسمه

« كوليت بودوش » عاد فيه الى موضوعه القديم موضوع الوطنية وحب

الوطن . وخلاصة هذا الكتاب ان فتاة من بنات الازناس تعيش مع أمها

وقد اضطرتهما رقة الحال الى تأجير غرف منزلهما للاضياف فعاشرهما أستاذ

المانى وقد أحب بعد طول العشرة تلك الفتاة وهام بها وعرض عليها الزواج

وحسن لها الحياة برفقته وانه يخفف عنها وعن أمها وطأة الفقر . وانه لاجل

حبها يترك عذراء المانية خطبها واتفق مع أهلها على أن يتزوجها . ويظهر أن

الفتاة قد مالت الى هذا الاستاذ الالمانى ورأت أن ترضى به بدلاً لتتقداً أمها

من آلام الفاقة وأوشكت ان تعده خيراً . واذا بيوم ذكرى موقعة سيدان

قد حل وهو يوم تقام فيه صلاة فى الكنيسة استدرا للرحمة على نفوس

الجنود الفرنسية الذين استشهدوا فى تلك الوقعة فذهبت الفتاة وأمها الى

الكنيسة واشتركت فى الصلاة وبكت مع الباكيات وعادت الى منزلها وقد

تبدلت في قلبها كل عاطفة وانقلب حبها لهذا الالمانى بغضا وفضلت أن تبقى مع امها تقاسيان اموال الاحتياج على ان تعطى قلبها لعدو وطنها
اختارت تلك الفتاة النبيلة الشقاء مع حب الوطن على السعادة المقرونة بالاستسلام استسلاما مشروعا لرجال من الشعب الذى قهر شعبها. وبعد أن يقوم بين قلب الفتاة وعمها عراك شديد تصر على رأيها وتصرح لعاشقها بان حب الوطن أشرف من كل حب سواه !

يقول الاستاذ بول بورجيه الذى أثنى على المؤلف ثناء عطرأ فى مقالة بليغة نشرتها جريدة الايكودى بارى ان هذا الكتاب هو احسن ما وضعه موريس باريس . وقراء هذا الكتاب يحكمون هذا الحكم نفسه على الصنعة البديعة والاتقان البالغ حده اللذين ظهر اباجلي مظاهرها فى ذلك الشعر الجليل نقول وسينتشر هذا الكتاب بين ايدي الامة الفرنسية باسرها ليقراه العامل في معمله والاستاذ في مدرسته والطالب في مكتبه والفتاة في خدرها سرتنتشر في كل تلك الاماكن تلك الفكرة السامية العظيمة ففكرة الوطنية الفرنسية وستتحرك من جديد في قلوب الامة الفرنسية دواعى البغض نحو الشعب الالمانى الذى أذلها وأهانها منذ اربعين عاما . ولكن حاشا لله أن تتحرك تلك الدواعى من جديد لانها لم تسكن ساعة واحدة ولن تسكن مادامت قلوب أهل فرنسا خافقة وما داموا يذكرون حوادث التاريخ . لان الطفل يرضع بغض المانيا مع اللبن والشيخ ينزل لحدوه وفي قلبه جرح غير مندمل لانه لم يوفق في حياته الى محاربة الالمان وارغامهم

(كاتب)

العرب ومذهب داروين

هى محادثة مع حضرة الاستاذ الفضال الشيخ طنطاوي جوهرى لثلاثة من الشبان المصريين بالبرهان اليقين فيما ذهب اليه داروين . وهى ثلاثة مباحث . المبحث الاول فى أن مذهب داروين هو المسمى عند العرب بدائرة الوجود وتحقيق القضاء والقدر وغير ذلك

— ١ —

فى روضة غناء ذات أشجار باسطات ورياض زاهرات ودوحات بهجات تلاقي ثلاثة من الشبان الاذكياء الاروعين النبلاء بحضرة الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى وهم : ابراهيم ونعيم ومحمد . يوم عيد انقطر المبارك . فتجاذبوا أطراف الحديث وأخذوا يقتطفون جنى الجنتين ويحنون ثمر الروضتين : الفكرة الشهية . والحكمة العقلية . فقال ابراهيم أيها الاستاذ هل سمعت بتلك الضجة القلقة والصيحة العالية فى الشهرين الفائتين عن مذهب داروين وما خالج الافئدة من الشك والريب وتزلزل العقائد وهل لك أن تقول كلمتك . وتنتشر حكمتك . فتكون للشبان نبراسا به يهتدون . وعلى صراطه السوى يسرون ؟

فقال الاستاذ : اني قرأت تلك المحاورات وعلمت مافى تلك القضايا ولم أر شيئا يغاير الدين . ولا فكريا يضر بعقائد المؤمنين . فالسلام يأمر الناس باليقين ولا يقين الا بالعلوم التي يسميها الناس عصرية وهى فى الحقيقة علوم اسلامية

قال نعيم : نرى أيها الاستاذ أنك عكست القضية وسميت الفكر إيماناً والاحاد اسلاماً وجمعت الظلام نوراً والحرارة ظلاً ظليلاً ألم يقل داروين أن الانسان قرد : ألم يقل بتولد الخلوقات الحية واستتباع بعضها بعضاً وأنها سلسلة أولها النبات وأوسطها الحيوان وآخرها الانسان والقرد وسطا بينهما ولا فعل لله في هذه السلسلة المتصلة فإنها تولد بعضها من بعض وحدثت أواخرها عن أوائلها واتصلت بالجداد بطريق التولد الذاتي ودل ذلك على ما يرى فيها من الاعضاء الأثرية الدالة على ما كان لها من المنافع في أصلها الغابر فضرمت وبقي أثرها في جيلها الحاضر فأين فعل الله والمصادفة العمياء هي المولدة للأحياء الدافئة للضعفاء ؟

فقال الاستاذ : ان الناس ثلاثة أقسام : جهة مقلدون وأذكىاء متوسطون وعلماء محققون أو حكماء موقنون . فاما الجهة المقلدون فما أحرام أن يققوا على التقليد وأنى لهم الحكمة من مكان بعيد وأما العلماء المحققون فاولئك الذين عرفوا النواميس الطبيعية واستنتجوا النتائج اليقينية من المقدمات العقلية فاما الاذكىاء المتوسطون فهم الذين وقفوا في وسط الطريق فلامهم مع العامة باقون ولا رفقوا الى الحكمة وهم موقنون . أيها العزيز : ما سموه مذهب داروين ليس بدعا في العلم ولا أمراً جديداً في الحكمة وان ما قصصته من الشكوك يرجع حاصله لا مريئين اثنين وقضيتين موجزتين

(أولاهما) — ان هذه العوالم العضوية من النبات والحيوان والانسان متشابهات منتظمات متناسقات يتصل أولها بآخرها . فالنبات أدناها وهو درجات بعضها فوق بعض وآخرها متصل بالحيوان . والحيوان درجات مرتبات بعضها فوق بعض حتى الانسان والانسان فوقهما

(الثانية) أن الاعلى مشتق من الأدنى اشتقاق الافعال من المصادر واللغات بعضها من بعض بحيث تولدت الانواع العليا مما تحتها ومسألة القرد والانسان جزء من آلاف من تلك القضية وترجع كلها الى التولد الذاتي من الجداد

فقال (محمد) : أو تظن أيها الاستاذ أن هذا يتفق مع الايمان ؟

قال الاستاذ : ان الايمان بالله تعالى قضية كلية لا يناقضها مذهب من المذاهب ولا ينافيها منهج من المناهج . فاذا قلت ان الله وضع العالم منظماً مرتباً سائراً على القانون والترتيب والحكمة والتناسق كما هو القضية الاولى أو قلت ان الخيل والحمار تولد بينهما بفعل فلا كفران ولا خسران . فكل ذلك حكمة الهية ومعجائب حكمية وما يكفر بتلك القضايا الا المتوسطون في العلم الذين لم يرتقوا الى طبقات الحكماء . فان عتولهم لا تسع نظاماً وترتيباً والها قادراً حكماً . ومثلهم كمثل العامة الذين لا تسع عتولهم أن تتصور تأثير العقاقير في الامراض ويكتفون بالايمان وهم جاهلون بنظام العالم وحكمته وترتيبه ولقد ترى الكلاب يعض الحمار ويعنل عن راسه . والحصان يحب خادمه أكثر من شارى العطف ومسديه . فشأن أكثر الناس اذا رأوا النظام والترتيب ذهلت عتولهم وهلعت نفوسهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بما تقولون ولا نحب أن نسمع ما تصفون . هذه آراء العامة ويتقرب منهم الاذكىاء المتوسطون . أما العلماء المحققون فلا يؤمنون الا بالحكمة النظامية والنواب الطبيعية فإيمان العامة عندهم كفران وما يكفر به العامة عندهم ايمان قال ابراهيم : قد تعمد علينا القول واعتاص الفهم وخرجت بنالى المواخي المهلكة والمضائق المصمية فأوجز القول ايجازاً وبينه بياناً ثم اضرب

الموسوم وما جرى به القلم في دفتر المرسوم وهذا ناظر المدرسة يضع النظام للطلبة والمدرسين ويقدر لكل قدره ويخصص لكل امرئ زمنه فهذا مثال للقضاء فاذا سار على امره المدرسون وقبل امره الطلبة فذلك مثل للقدر لعكم تعقلون

فالسلسلة النباتية الحيوانية الانسانية متناسقة مرتبة منتظمة كلها شجرة أخرجت أوراقها وازدهت بأزهارها وتحت بأثمارها فالورق مثل النبات. والزهر مثل الحيوان. والثمر مثل الانسان

فمن ذا يكفر بتلك الحكمة البهية الا الجاهلون وما يعقلها الا العالمون قال نعيم ان هذا لعجب عجب ان هذا ينافي القرآن وسائر الاديان

(٢)

وقد تجاوزت بنا العقبة الاولى وهى السلسلة النظامية وهى أنت دخلت بنا فى مأزق ضيق ورميت بنا فى مكان سحيق وكيف يتفق الاشتقاق والتولد الذاتى مع الدين والله خلق الناس من أيهم آدم واذا كان الانسان من القرد فلا آدم فأما أن تقول بنفى الاديان أو تقول بالقرد والانسان . وانك الآن جمعت بين النقيضين ومزجت الضدين وهل يستوى الاعمى والبصير أو الظلمات والنور والظل والحرور

فقال الاستاذ الآن دخلنا فى أهم دور من أدوار القضية بعد أن فرغنا من مقدماتها لقد قلت حقا ان اشتقاق هذه العوالم بعضها من بعض ينافى ظواهر الديانة الاسلامية وهى القضية الثانية من القضايا التى سماها الناس (دار وبنية) وسماها فلاسفة الاسلام دائرة الوجود. والقرآن ميزانا. والدين

لنا مثلا بالمحسوسات ليكون أقرب للفهم وأسرع للعقل

فقال الشيخ : قد علمتم أن مذهب داروين قد رجع الى قضيتين اثنتين وهما لا ينافيان الالهية فدلالة العالم المنظم على الله قضية كلية لا يختلف فيها المحققون وان غفل عنها الكثيرون ولقد كانت هذه القضية الناموسية سرا مكنونا عند علماء الاسلام وكما أخفوها عن العوام. وتسمى عند علماءهم (دائرة الوجود) وعند أهل السنة والمعتزلة بالقضاء والقدر وتسمى فى القرآن بالميزان وورد الترتيب النظامى بذكر الانسان فالحيوان فالنبات فالسموات وكواكبها وشموسها فى سورة النحل رجوعا بالعوالم من أواخرها الى أوائلها وهذا عجب عجاب . وقد قال الغزالي رحمه الله

« لا يعرف هذا السر الا المحققون الذين درسوا أكثر العلوم » وسميت فى آية أخرى بالقيام بالنقسط بنى قوله تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالنقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) والقيام بالنقسط والنظام والترتيب الذى منه تناسق النبات والحيوان وتلاصقتها وارتباطها . فهذه المسألة فرغ منها علماء الاسلام بعد ان قروها للافهام وسماها الصوفية بالسر المكتوم والطلمس المكنون . فالماضى يقول خلق الله الاشياء بلا بحث ولا تنقيب والعالم الكبير لا يكمل ايمانه حتى يشاهد الحكمة الكونية والنظمات النباتية والجمادات الحيوانية والتصاقها بالانسان فاقرأوا ابن خلدون وابن مسكويه وابن سينا وغيرهم من المحققين لعلمكم توقعون

فأما القضاء فانه التدبير والاحكام ووضع النظام وأما القدر فانه اظهار ما سبق به القضاء وخلق ما تقدمت به المشيئة فى الابتداء. ومثاله فى المشاهد لمحسوس أن يدبر ناظر الزراعة انقطع الارضبة ويزرعها الزارعون على النهج

قضاء وقدرًا. ولكن قل لي يا (نعيم) من ذا الذي أثبت هذه القضية وجعلها مسألة يقينية؟

فقال نعيم دروين. فقال من أنباك بذلك؟ قال أكثر الناس — فقال الشيخ (وان قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون)

فقال نعيم. اكلك بالعلم وتجيئي بالدين. فقال الاستاذ ان أكثر الناس يقرءون هذا المذهب ويجهلون مغزاه ويخفون ولا يدرون مرماه ان دائرة الوجود السماة عند الافرنج بالمذهب الدرويني حقيقة واحدة لم تختلف باختلاف الأمم والممالك الا في التفصيل وهي عبارة عن النظام الذي فهمتموه فأما اشتقاق بعضها من بعض فلم يجعله داروين نفسه من أصول مذهبه وانما جعله عارضا من عوارضه مشكوكا فيه غير محقق ولا معلوم!!

حينئذ قال ثلاثة الشبان بلسان واحد انا نشك في هذا البيان فاثبتنا بالبرهان.

فقال الاستاذ قال داروين ما نصه (اني أرى فيما يظهر لي أن الكواثر العضوية التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة. تنبع الخالق فيها نسمة الحياة على أن أساس هذه النتيجة) المشابهة بالتسليم بها وعدده غير جوهريتين

قال محمد أوضح لنا هذا القول فهو منمض بمثال.

فقال الاستاذ قد مثلنا العوالم العضوية الثلاثة بورق الشجرة وأزهارها وأثمارها فالورق أولا ووليه الزهر فالثمر هكذا مرتبة في البروز من الشجرة كما برز النبات والحيوان والانسان على الأرض فالأرض كالشجرة والثلاثة

تشبه الثلاثة. ورأى داروين كما رأى الذين من قبله من حكماء الاسلام تشابه العوالم الثلاثة. فقال لعل الحيوان من النبات والانسان من الحيوان والنبات من الجملاد. انى أراها متشابهة والولد يشبه أباه كما يقول القائل. ان الزهر أشبه بالورق وان خالقه في اللون والشكل. والثمر أشبه الزهر في الاستدارة وبعض الصفات الداخلية. لعل التأخر نجم من التقدم وربما كان كل واحد منها مخلوقا من الشجرة أصالة بلا تدريج فلم يكن الزهر ورقا ثم انقلب زهرا ولم يكن الثمر زهرا فانقلب ثمرا فيقول دروين ان جوهر مذهبي وأصله وحقيقته تشابه هذه العوالم (مثل العلماء السابقين الحكماء الاسلاميين)

فأما اشتقاق بعضها من بعض فليس جوهريا يعني ثبوته ولا أبلى بتحقيقه. فرجع أمر الرجل الى العلماء السابقين وهو هو المسمى بدائرة الوجود عند علماء الاسلام.

فقال ابراهيم عجبا أو هذا قول دروين.

قل الاستاذ نعم. حينئذ انبرى ابراهيم وقال لملك لم تقرأ مذاهب علماء أوروبا المتأخرين ألم تر الى العلامة (برن) مترجم مذهب داروين الذي يجعل العالم العضوى مشتقا من صورة واحدة وشنع على داروين اذ أظهر الشك في هذه القضية الاشتقاقية ورماه بالجن الادبي وأنه متحير في القضية فتارة يقول انها غير جوهرية وأخرى يقول يظهر لي على سبيل الشك وأخرى يقول لعل أصول المخلوقات أربعة أو خمسة فأما (برن) فقد قطع وجزم بتلك القضية المنافية للديانة الاسلامية

فقال الاستاذ ان لكل مذهب جديد في العالم حدة يستطير شررها. ونارا يتاغى أوارها والمتقدمون للديانات والنحل والآراء يجهاون غالبا ابراهيم

ساداتهم ولا يعلمون الحقائق التي اكتشفها المقلدون (بالفتح) شك دروين في القضية وجزم بها (برن) فان المقلدين يقولون ما لا يعلمون

قال ابراهيم ان (برن) وان كان مقلداً فهو أوربي . وعلماء أوروبا أعلم بتفاصيل القضية وأعلى مقاماً وأرقى حكمة ولئن شك دروين فقد حققها (برن) كما هو شأن المذاهب الانسانية تبدو ضعيفة وتقوى كما يبدو الهلال مستثيراً ثم يصير بديراً منيراً ولئن زعمت أن (برن) مقلد فاني أقول انه من المحققين ولئن ادعيت أنه من المقلدين فاني أقول انه من المقلدين (بالفتح)

وفي الحديث سبحانه ما عرفناك حق معرفتك فتبسم الشيخ وقد ظن الاخوان الثلاثة أنه أرتج عليه ولم يفتح بالجواب عليه

فقال اذن المتأخرون منهم أفضل من المتقدمين قالوا نعم قال الاستاذ قد طعن مذهب النشوء الطبيعي متأخرو الفلاسفة في أوروبا طعنة نجلاء فأوردوه مصارعه ودفنوه في رمسه وأهل الشرق عن ذلك غافلون

حكم على الشرقيين أن يقلدوا في أحقر الاشياء وأدناها ولو رجع المقلدون (بالفتح) عن مذاهبهم وارتدوا على أعقابهم ناكسين كأنه حكم عليهم وقد قرأوا قشور العلوم أن يبحثوا عن المذاهب العتيقة ويحفظوها عن ظهر قلب ثم لا يفكرون واذا ذكرهم الاوربي فلا يذكرهم وتروج بضاعتهم عند الذين لا يعقلون

ألم تر الى الطبيعي الشهير (همبولت) اذ قاس السيارات وبين كشافها فرأى أن أثقالها تناقض الرأي السديمي المتحد مع النشوء في الحيوان

وقال (تدل) بعد أن بحث في اشتقاق هذه العوالم بعضها من بعض ثمانية أشهر ان أتعابى في تقرير هذا المبدأ ذهبت أدراج الرياح فاني لم أجد للتولد الذاتي من أثر بل بالعكس رأيت كل التجارب تناقضه ومثلي في ذلك العلامة (هكسلي) و (سبنسر) و (برتون) وقد أجمعوا على أن تولد العوالم العضوية من الجماد بلا قوة خارجية ضلال وجهل مبين

وقال (هاليس) لا يتولد الحى الا من الحى ومن يقل ان النبات ناجم عن الجماد تولد ذاتياً بلا قوة خارجية فهو في ضلال مبين والا فكيف نرى الماء يمتصه النبات كالنخل مثلاً فيصل الى أعلاه وقد يكون مائة قدم

ولو وضعنا ساق كرمة في أنبوبة زئبق لم يبلغ في ارتفاعه الا ثلاثين بوصة فالقوة النباتية الحية مخالفة لقوة الامتصاص الطبيعية فالهوة واسعة بين الحى وغير الحى وهذا أهم مذهب النشوء الطبيعي

قال محمد اذن صار مذهب التولد الذاتي مشكوكا فيه عند دروين ومنفيماً عند العلماء المحققين المتأخرين وهب أنه ثبتت قضيته وتحققت دعوته فماذا نقول في آدم وبنيه والقرد وما يليه ؟

فقال الاستاذ مالنا وللقرد على أنه لو فرض ثبوتها وظهر صدقها وقد علم أنها منعت بعض علماء أوروبا فعند ذلك يلجأ الانسان للتأويل

أما اليوم فالدين على ظاهره لا تأويل ولا تحويل فإب أثبتنا البرهان العقلي فما أسهل التأويل على العلماء أما الآن فالامر واضح ظاهر جلي للقارئ قال ابراهيم اذا كان هذا رأى علماء أوروبا المتأخرين فما بالناس لا نقرأ

عندهم الا الكفر المبين والاحاد في الدين

فقال : لا استاذ لم ياحد منهم الا المتوسطون

الازهر لسمعوا من البحث والتنقيب في علم التوحيد ما لو سمعه الامي لا تغلب
خاسئا وهو حسير: فالشبان أخذوا الدين تقليداً ولم يطرق آذانهم شك ولا
تشكيك وظنوا أن الدين عبارة عن تلقين بلا برهان ولا بحث ولا جدال فاذا
سمعوا تلك المباحث مروية عن الامة الافرنجية شكوا في دينهم وهم غافلون لهذا
السبب لا صحة لايمان الاذ كياء المقلدين

وكل من قلبي التوحيد ايمانه لم يخل من ترديد
فانظر الى نفسك ثم انتقل للعالم العاوي ثم السفلى

تجدد صنعا بديع الحكيم

ولذلك كرر ذكر النظر في الآيات القرآنية في نحو سبعة عشر وخمسين آية
وورد (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) فقرة التشرية والطبيعة والكيمياء
وسائر العلوم العصرية ودراسة الحيوان والنبات والانسان أجل عبادة . وهي
أفضل من سائر القربات كما شرحه الباء وهي أفضل من صلاة النافلة والاحسان
للقراء . ولولا قصور علماء القرون الماضية ما ضاع المسلمون وما أحاطت بهم
بيدات الدهر ولا أصابهم كوارث الخلدان . فهل هم اليوم منتبهون ! ومن
ذا الذي يدرس التشرية ويرى السكرات الحمراء في الدم وهن غايات راحات
يجلبن الميرة والطعام للملايين من خلايا الجسم الحية فيغذينهن بالاوكسجين
ثم يرجعن حاملات الكربون ويسلمنه الى الهواء الجوي . من ذا الذي يرى
ذلك ولا يتعجب أشد العجب من أن جسمه عبارة عن ألوف ألوف الملايين
من حيوانات حية مثلنا لها خدش وعساكر وجيوش ذات دفاع وهجوم ؟ أم
من ذا الذي يرى السكرات البيضاء الجارية في الدم وهن مصطفات صفاء
صفاهها من السكر وبات الداخلة لتفتك بالجسم فتكا ذريما فيصدم ذنها ويردنها

فقال ابراهيم بن الحقيقون

فقال الشيخ قال (سبسر) ان الله موجود حقيقي لان الوجدان لا
يمكنه الا أن يرى موجوداً حقيقياً وراء أعراض الطبيعة وهذا الموجود
ضروري وجوده في الذهن لادراك المظاهر الخارجية ومن المستحيل محوه
من الوجدان فاللا أدري لا تقول بنفي الخالق أو الموجود المطلق بل بالعكس تؤيده
قل نعم ان (سبسر) يقول انه مجبول فدل على انه شك فقل الاستاذ
ان سائر الانبياء والحكماء والعقلاء أجمعوا على أن الله مجهول الذات معلوم
بعض الصفات

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (العجز عن الادراك ادراك)
وورد: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله ان التفكر في
ذات الله اشراك) ولم يدع أحد من العلماء معرفة ذات الله وهو ما قاله
سبسر فالله مجهول الذات معلوم بعض الصفات بل من ادعى معرفة ذات
الله فقد تعالى عن مقام النبوة المقر بالعجز عن الادراك وقد أشار لذلك عليه
الصلاة والسلام بقوله (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبِعافيتك من
عقوبتك وبك منك أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فقوله
أنت كما أثنيت على نفسك تفويض لله في الثناء على نفسه اذ لا يعلمه الا هو .
وقال تعالى (وما قدره الله حق قدره)

قال نعيم اني سمعت كثيراً من أصحابي يظنون أن ما قاله (سبسر) شك
في الله فيشكونه ولكني علمت الآن أنهم لا يعلمون: قال الاستاذ قد يجهل
حقيقه الذات من علم بوجودها ولا تنافي بين العلم بالوجود والجهل بحقيقة
الذات فلو أن اخوانك كانوا أنفسهم مشتتة البحث ودخلوا في حلقة من حلقات

على أعتابها فاذا انتهكت قواها جاءتها النجدة العسكرية من أخواتها الكرات
الحمراء الحية فاصطفن معها صفوفا وحاربن مع أخواتهن ألوفاً وأنشدن قول
عمر بن كلثوم

فكن الأيمنين اذا التقينا وكان الايسر من بنو أينا
فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا
الا لا يجملن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فمن ذا الذي يرى ذلك ولا يأخذه الدهش من الحكمة العجيبة والبدائع
الغريبة جيوش في أجسامنا جاريات في دمائنا يدبرها (الخبيخ) وهو خلف
رؤوسنا بعقل وحكمة ونحن عنه غافلون أفمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون وأنتم سامدون وفي أنفسكم أفلا تبصرون . به هذه العلوم
يأمركم القرآن (٣)

مأسهل التكذيب : التكذيب سهل سائق شرابه للجاهلين
قال (محمد) انه لم يبق لدينا اعتراض الا ذكرناه ولا سؤال الا قدمناه فما
للناس لا يوقنون : واذا كانت هذه العلوم تورث اليقين فما بالناس نرى قارئها
ما جدين ؟

قال الاستاذ قد اشتهرت هذه القضية في الاقطار والامصار ونسبوا
الا لحاد لمن قرأوا الطبيعيات والحق ما قاله الامام الغزالي انهم لا يعلمون منها
أكثر مما نحن عالمون ولا يفقهون منها أكثر مما نحن فاهمون (يضل به
كثيراً ويهتدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين) وأنا أقول ان أولئك
المحدثين أحد اثنين إما رجل جهل الطبيعة ودرس قشورها فهر من الشاكين وإما
رجل ضعفت قوته الحاكمة فملا عقله بالخنوطات وليس له في قوة الحكم من نصيب

ان بعض الشرقيين أسرعوا الى الحاد لقلة بضاعتهم في العلوم (علوم الطبيعة
يقين للحكماء شك لمن دونهم) فما مثلهم الا كالخفافيش أو الفراش يهرها ضوء
الشمس أو كالفقير أصابه الغني خفاة أو كثيران (الاسيان) بهرتا بعد حبسهما حرة
الالوان هذه طبائع بعض الانسان ومن الناس من يمل من هذا الكلام اما النسوق
فيه واما الكبر وخيلاءه لا يقول الناس رجوع عن رأيه واما ليتظاهراً أنه أعلم من حوله
من العالمين !! وما دري المسكين ان الانكار أسهل شيء على الجاهلين وليس يعوزه
الا العناد الذي ماله من تقاد

قال نعيم قد طال بنا المقام ونرجو أن تسمعنا قولاً موجزاً في الختام

فقال الاستاذ أما قرأت كتاب أميل القرن التاسع عشر المسمى بالتربية
الاستقلالية للفونس (اسكيروس) الفرنسي اذ يقول ان مثل من يرفض المذاهب
الدينية أو الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر . كلاهما
مناقض لنفسه غير مسدد لرأيه ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من وقاحة
أحداث الدكارة الذين يجبرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض بها أمثال
(ديكرات) المهندس الطبيعي الفرنسي المشهور المدعو بأبا الحكمة في القرن السابع
عشر ولستيتوزا الفيلسوف الشهير في القرن السابع عشر وبسكال المهندس الكبير
والكاتب الشهير الذي أثبت ثقل الهواء ولا نيتز مخترع حساب الفروق الدقيقة
(وهيكل) الفيلسوف الألماني الشهير في القرن التاسع عشر المتوفى سنة ١٨٥١ فمن أضل
ممن يجبرون من أحداث الدكارة بان مباحثهم ليست خليقة بالتقائهم وميلهم فللجهلة
الاغبياء منهم كلمة يطنظون بها في هذه الايام وهي قول أحدهم وهو (لم يفتح في حياته
صحيفة عن كتاب الكون) مالي ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسبر غوره من مسائل
وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم فحسبي الاشتغال بالعلم ولو أنه كان